سلسلة عصور مصرية

الدولة الفاطمية في مصر

(969 - 1171م)



تقديم: د. قاسم عبده قاسم

تأليف: جيهان ممدوح مأمون

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

السلسلة: عصور مصرية

العنوان: الدولة الفاطمية في مصر

تقديم: د. قاسم عبده قاسم

تأليف: جيهان ممدوح مأمون

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

الترقيم الدولي: 3 - 4118 - 14 - 977   رقم الإيداع: 2007/19317   الطبعة 1: فبراير 2009

الإدارة العامة: 21 شارع أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
تليفون: 33466434 - 02 33472864
فاكس: 02 33462576

المركز الرئيسي: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - 6 أكتوبر
تليفون: 38330287 - 02 38330289
فاكس: 02 38330296

مركز التوزيع: 18 شارع كامل صدقي - الفجالة - القاهرة
تليفون: 25909827 - 02 25908895
فاكس: 02 25903395

فرع الإسكندرية: 408 طريق الحرية - رشدي
تليفون: 03 5462090

فرع المنصورة: 13 شارع المستشفى الدولي التخصصي - متفرع من شارع عبد السلام عارف - مدينة السلام
تليفون: 050 2221866

خدمة العملاء: *16766*

Website: www.nahdetmisr.com E-mail: publishing@nahdetmisr.com - customerservice@nahdetmisr.com

تقديم

تُنسب الدولة الفاطمية إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول، عليه الصلاة والسلام وهي دولة شيعية المذهب. و«الشيعة» في الأصل كلمة معناها «شيعة علي بن أبي طالب»؛ أي «أنصار علي». وهم فريق من المسلمين كانوا يرون أن الخلافة يجب أن تكون في نسل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والخلاف بين السنة والشيعة يدور حول الحكم ولا يصل إلى جوهر الدين الإسلامي.

وعلى أية حال، فإن الفاطميين نجحوا في إقامة دعوتهم في اليمن، ثم نقلوا دولتهم إلى تونس؛ وبعدها نجحوا في أخذ مصر من الإخشيديين، كان أول خلفائهم في مصر هو المعز لدين الله، وأرسل قائد جيوشه جوهر الصقلي لفتح مصر، وبناء العاصمة الجديدة «القاهرة» لتكون مقرًا للخلفاء الفاطميين على مدى أكثر من قرنين من الزمان، ثم جاء الأيوبيون ليفتحوا المدينة لسكن الناس، وتطورت المدينة التي نشأت في أحضان جبل المقطم واتجهت إلى نهر النيل وضمت العواصم القديمة كلها، بحيث صارت في عصر سلاطين المماليك في أهم مدينة في الدنيا.

ويتناول هذا الكتاب قصة الفاطميين في مصر وبلاد الشام، وصراعهم السياسي والعسكري مع القوى المعاصرة ولاسيما الفرنج الصليبيين الذين جاءوا من أوربا تحت راية الصليب لكي يغزوا فلسطين وبلاد الشام ويستوطنوها. وترصد صفحات هذا الكتاب في أسلوب سلس بسيط، الجوانب المختلفة من الحياة الاجتماعية المصرية في ذلك الزمان، وتتابع الاحتفالات التي كان المصريون يقيمونها في الأعياد والمواسم والمناسبات القومية مثل الاحتفال بعيد النيروز ووفاء النيل. كما تضم صفحات الكتاب معلومات كثيرة وصورًا جميلة عن الآثار التي خلفها الفاطميون في مصر، وأهمها القاهرة نفسها والجامع الأزهر الذي صار رمزًا للعالم الإسلامي في كل الدنيا؛ فضلاً عن المنشآت التاريخية الأخرى في القاهرة وغيرها من المدن المصرية.

لقد كانت الدولة الفاطمية أول الدول الإسلامية المستقلة التي قامت في مصر، كما كانت دولة مهمة في المنطقة العربية، ولكن الضعف الاقتصادي الذي نتج عن عدم كفاية مياه النيل لري الأراضي الزراعية (وهو ما لايمكن أن يحدث الآن بسبب السد العالي) تسبب في انهيار البناء السياسي، ثم ضعف قوة الخلفاء، وانفراد الوزراء بالسلطة، وعدم قدرة الفاطميين على هزيمة الصليبيين، أدى إلى قيام الدولة الأيوبية على أنقاض الدولة الفاطمية.

يشرح هذا الكتاب الجميل كل هذا في أسلوب جديد، مع الصور التوضيحية الجميلة التي تزين جهد مؤلفة الكتاب في تقديم تاريخ الدولة الفاطمية، وهو أمر تستحق عليه الشكر والتقدير، كما تستحق مجموعة شركات نهضة مصر الثناء على جهدها الطيب في سلسلة «عصور مصرية».

والله الموفق والمستعان

د. قاسم عبده قاسم

الجيزة، يناير 2009

المحتويات

المعز لدين الله الفاطمي

هو الخليفة الفاطمي الرابع، كان رجلًا مثقفًا محبًّا للعلوم والآداب ويجيد ست لغات. نقل المعز مركز خلافة الدولة الفاطمية من المهدية بالمغرب إلى القاهرة وأقام حكومة قوية وجعل مصر قلب العالم الإسلامي. وقد حكم مصر ثلاث سنوات كان خلالها خليفة عادلاً، أجرى الكثير من الإصلاحات وبنى الجسور والقناطر وازدهرت مصر في عصره ازدهارًا كبيرًا.



لماذا سميت القاهرة؟

ويروى أن القائد جوهر عندما بدأ في بناء المدينة أحاطها بأعمدة خشبية ووضع بين كل عمود وآخر حبالًا تتدلى منها أجراس بغرض أن تدق جميعها في لحظة واحدة عندما تعطي الإشارة لذلك.وأحضر جوهر العرافين المغاربة وطلب منهم أن يختاروا توقيتًا يكون طالعه سعيدًا ليرموا فيه الأساس فيجلب لهم الحظ السعيد. ولكن حدث أن وقف غراب فوق أحد الحبال، فدقت كل الأجراس وظن العمال أنها الإشارة المتفق عليها فرموا الأساس المكون من الطين والحجارة. وقد صادف أن ظهر في السماء في هذا التوقيت كوكب المريخ الذي يطلق عليه (قاهر الفلك) فسميت القاهرة لذلك. وقد أضيف لها بعد وصول الخليفة (المعز لدين الله الفاطمي) اسمه فأصبحت تسمى القاهرة المعزية وسميت أيضًا القاهرة المعزية المحروسة.[1]

تخطيط القاهرة



عندما بدأ جوهر في بناء القاهرة وجد مكانها حصنًا يسمى قصر الشوك (قصر الشوق) وبستانًا رائعًا يسمى بستان الكافور كان قد أنشأه (محمد بن طغج الإخشيدى) في عصر الدولة الإخشيدية. هدم جوهرالحصن وأبقى على البستان الذي يقع في غرب المدينة وضمه للقاهرة وأصبح متنزهًا للخلفاء الفاطميين. لقد صممت القاهرة على شكل مستطيل، يشق المدينة من الشمال إلى الجنوب شارع رئيسي يسمى شارع القصبة يبدأ عند باب الفتوح شمالًا وينتهي عند باب زويلة جنوبًا، يتفرع من هذا الشارع شوارع جانبية تخترق المدينة من الشرق إلى الغرب وتفصل المناطق التي تسكن بها قبائل الجيش وعائلاتهم عن بعضها البعض. كل منطقة من هذه المناطق أطلق عليها اسم حارة، لا يدخلها إلا سكانها ولها باب يغلق ليلًا وكان يطلق على كل حارة اسم القبيلة التي تسكن بداخلها، فهناك مثلًا:

– حارة الروم.
– حارة الأتراك.
– حارة زويلة.
– حارة الأمراء

(1) الخطط المقريزية، ج2، ص204.

ويتفرع من هذه الحواري أزقة وطرقات. يقع في شرق المدينة قصر الخليفة الشرقي الكبير وفي غرب المدينة القصر الغربي الصغير ويفصل بينهما ميدان يسمى بين القصرين. أما الجامع الأزهر فيقع في جنوب القصر الشرقي.[1]

قصة طريفة

جاءت مجموعة من الجنود للخليفة (المعز لدين الله الفاطمي) يطلبون قطعة من الأرض ليبنوا عليها معسكراتهم، فقال لهم الخليفة: إن الأرض كلها قد وزعت. فقالوا: (رحنا نحن في الباطل) فالتصق هذا الاسم على المكان الذي سكنوا فيه بالقرب من الباب المحروق وأطلق عليه (حي الباطلية) ولايزال هذا الحي موجودًا حتى يومنا هذا بنفس الاسم وينطق الباطنية.

مساحة القاهرة

بدأ جوهر في بناء القاهرة فور وصوله عام (358هـ)، وجعل لها سورًا من الطوب اللبن مساحته (1200) متر طولًا في (1100) متر عرضًا، وكان يحيط بالمدينة من الجوانب الأربعة. كان عرض السور كبيرًا، بحيث يسمح بمرور فارسين فوق فرسين. وقد بنيت الأسوار والأبواب لتحصين المدينة خارجيًّا ضد أي هجوم، وخاصة من القرامطة أعداء الفاطميين، ولتحصينها داخليًّا؛ لحماية الخليفة والوزراء والجنود. وقد أطلق جوهر على العاصمة الجديدة المنصورية حتى أتى الخليفة (المعز لدين الله الفاطمي) وغير اسمها إلى القاهرة. مساحة القاهرة الكلية (370) فدانًا منها (70) فدانًا للقصر و(30) فدانًا للميادين و(30) فدانًا للبساتين، أما (240) فدانًا المتبقية، فجعلها للطرق والمساكن.

لماذا بنى جوهر عاصمة جديدة؟

صممت القاهرة لتكون مدينة ملكية محصنة ليسكن فيها الخليفة والأمراء والوزراء والجيوش الفاطمية. لم يكن مسموحًا للعامة دخول المدينة إلا بإذن وتصريح خاص مع وجود سبب يستدعي الدخول. وكان يجب على الزوار مغادرة المدينة بعد صلاة العشاء وعلى إثر ذلك تغلق الأبواب.





عقد فارسي معشق تتوسطه
دائرة وتعلوه مروحة وهي
جزء من جامع الأقمر

موقع القاهرة

يحد القاهرة من الشرق جبل المقطم، وهو يوفر لها حماية طبيعية، ومن الغرب الخليج الكبير الذي كان يخرج من نهر النيل، ومن الجنوب مدينة القطائع التي بناها الخليفة (أحمد بن طولون) في عهد الدولة الطولونية.



شكل زخرفي من الأشكال التي
غلبت على العمارة الفاطمية

معلومة

كان اللون الأبيض هو رمز الدولة الفاطمية.

أبواب القاهرة

عدد أبواب القاهرة التي بناها (جوهر الصقلي) ثمانية أبواب:

- باب البرقية وباب القراطين في الشرق.
- باب القنطرة وباب السعادة في الغرب.
- باب الفتوح وباب النصر في الشمال.
- بابا زويلة وباب الفرج في الجنوب[1].

السور الثاني

في أيام حكم الخليفة المستنصر عام (1087 م) جدد أمير الجيوش (بدر الجمالي) سور القاهرة، وقد هدم السور القديم وبنى مكانه سورًا جديدًا من الحجارة لتوفير حماية أفضل. وقد زاد (بدر الجمالي) مساحة (150) مترًا في الأسوار شمالًا وجنوبًا وبنى بوابات ضخمة، مساحة كل منها (25) مترًا مربعًا، وارتفاعها (20) مترًا، وجعل كل الأبواب في نفس أماكنها القديمة. وقد أحضر الحجارة المستعملة في البناء من جبل المقطم ومن عدد من المعابد الفرعونية التي هدمت لهذا الغرض. أما الزيادة الثالثة في الأسوار، فقد قام بها (صلاح الدين الأيوبي) حيث مد أسوار القاهرة لتشمل القلعة، وأضاف لها عددًا من الأبواب، وفي أزمنة لاحقة وصل عدد أبواب القاهرة إلى (25) بابًا مجتمعة.



سور القاهرة

(1) الخطط المقريزية، ج2، ص209.

العمارة الحربية في العصر الفاطمي (البوابات)

وقد بقي لنا من أبواب قائد الجيوش (بدر الجمالي) ثلاثة أبواب، هي باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح، وهذه الأبواب مكونة من ثلاثة مستويات:

– مستوى الشارع والمدخل وكان يتم الوصول إليه بمرتفع.

– المستوى الثاني، وله ممرات مستقلة وغرف وطرقات وفتحات لرمي السهام وفتحات لإطلاق المناجيق على طول السور.

– المستوى الثالث، وهو عبارة عن شرفة مكشوفة.

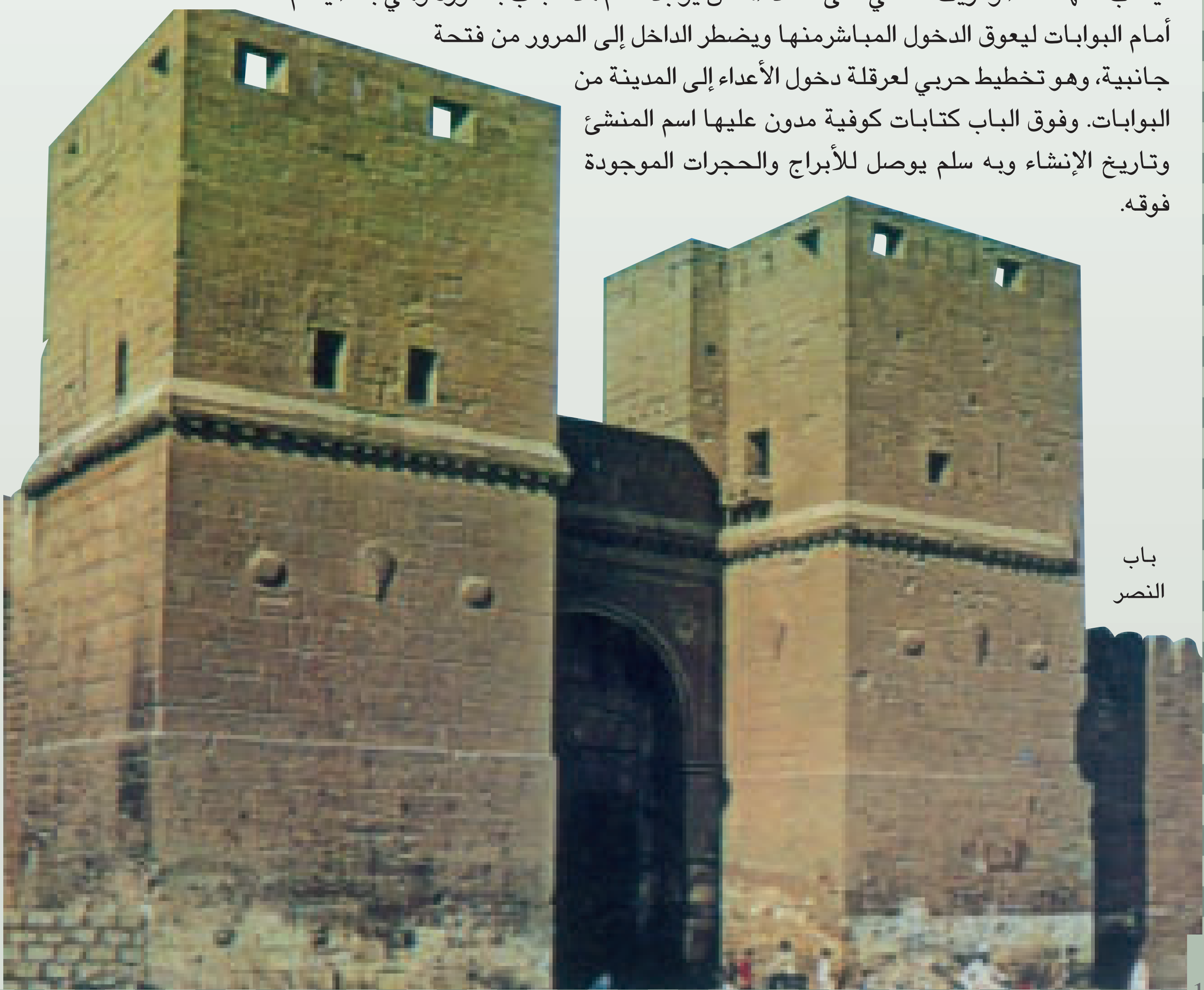
أما الأبراج فهي مبنية في الأسوار وبها غرفات وفتحات من ثلاث جهات لتسمح للحراس برؤية كاملة للخارج.



باب زويلة

باب النصر

بناه أمير الجيوش (بدر الجمالي) (1087م) وهو يتكون من برجين مربعين، منقوش عليهما آلات الحرب المختلفة من سيوف وتروس، وفي وسط البرجين باب ضخم توجد أعلاه فتحات تسمى (السقاطة) ليصب منها الماء والزيت المغلي على الأعداء. كان يوجد أمام هذا الباب باشورة وهي بناء يقام أمام البوابات ليعوق الدخول المباشرمنها ويضطر الداخل إلى المرور من فتحة جانبية، وهو تخطيط حربي لعرقلة دخول الأعداء إلى المدينة من البوابات. وفوق الباب كتابات كوفية مدون عليها اسم المنشئ وتاريخ الإنشاء وبه سلم يوصل للأبراج والحجرات الموجودة فوقه.



باب النصر

باب الفتوح

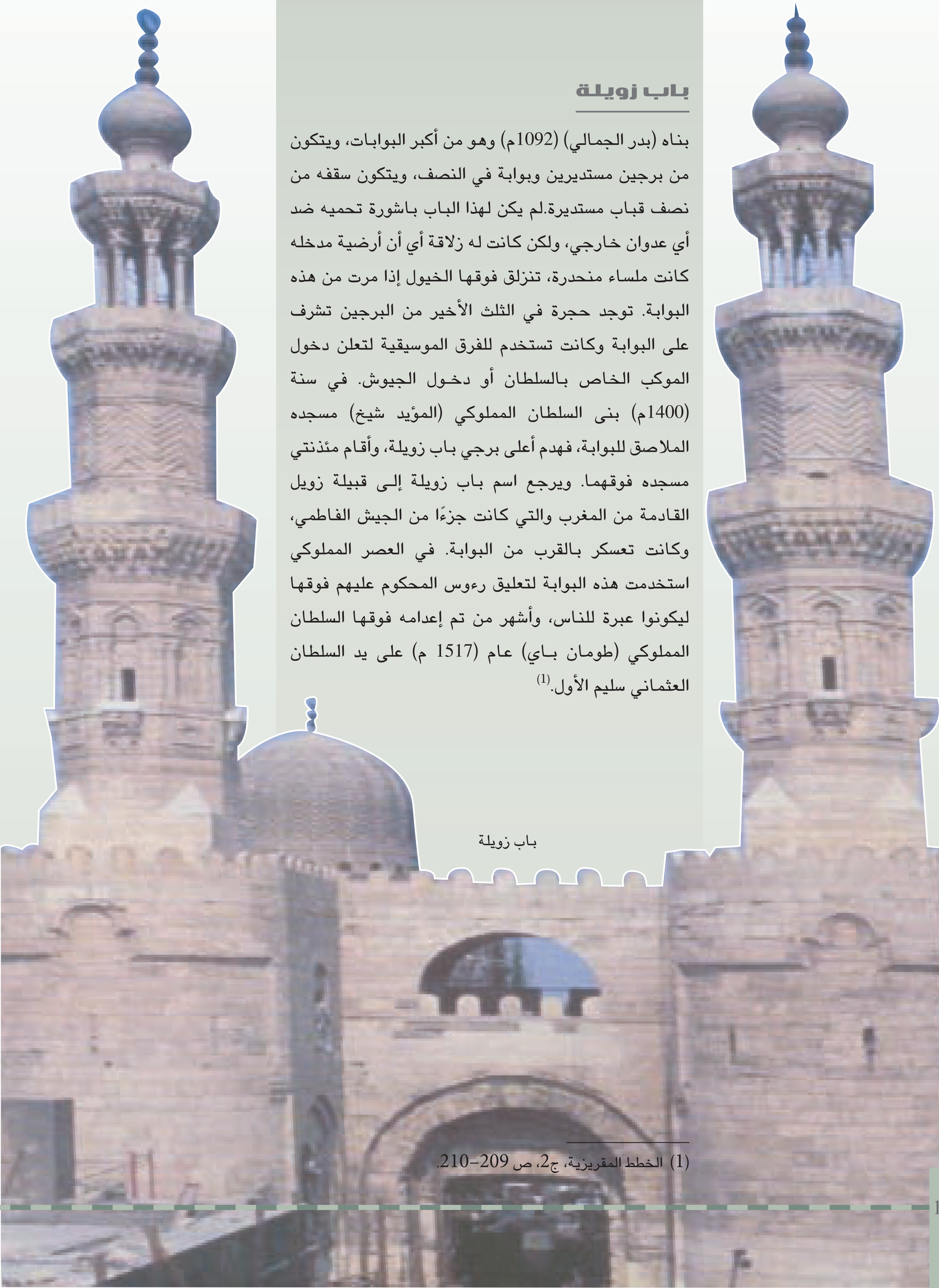
بناه أمير الجيوش (بدر الجمالي) (1087م) ويتكون من برجين مستديرين، في وسطهما مدخل ولهما فتحتان كبيرتان حولهما حليات مكونة من أسطوانات. وكانت لهذه البوابة أيضًا باشورة وقد زالت تمامًا الآن. ويتصل باب الفتوح بباب النصر عند المستوى الثالث كما يتصلان من تحت السور. وقد سمي باب الفتوح بهذا الاسم؛ لأن الجيوش التي تذهب للفتوحات كانت تخرج من هذا الباب.



باب الفتوح

باب زويلة

بناه (بدر الجمالي) (1092م) وهو من أكبر البوابات، ويتكون من برجين مستديرين وبوابة في النصف، ويتكون سقفه من نصف قباب مستديرة.لم يكن لهذا الباب باشورة تحميه ضد أي عدوان خارجي، ولكن كانت له زلاقة أي أن أرضية مدخله كانت ملساء منحدرة، تنزلق فوقها الخيول إذا مرت من هذه البوابة. توجد حجرة في الثلث الأخير من البرجين تشرف على البوابة وكانت تستخدم للفرق الموسيقية لتعلن دخول الموكب الخاص بالسلطان أو دخول الجيوش. في سنة (1400م) بنى السلطان المملوكي (المؤيد شيخ) مسجده الملاصق للبوابة، فهدم أعلى برجي باب زويلة، وأقام مئذنتي مسجده فوقهما. ويرجع اسم باب زويلة إلى قبيلة زويل القادمة من المغرب والتي كانت جزءًا من الجيش الفاطمي، وكانت تعسكر بالقرب من البوابة. في العصر المملوكي استخدمت هذه البوابة لتعليق رءوس المحكوم عليهم فوقها ليكونوا عبرة للناس، وأشهر من تم إعدامه فوقها السلطان المملوكي (طومان باي) عام (1517 م) على يد السلطان العثماني سليم الأول.[1]



باب زويلة

(1) الخطط المقريزية، ج2، ص 209-210.



مأثورات خاصة بالبوابة

أطلق العامة على باب زويلة اسم بوابة المتولي في العصر العثماني؛ لاعتقادهم أن وليًّا يطلق عليه (القطب المتولي) يعيش بجوار البوابة ويصنع المعجزات، فأصبحت هذه البوابة ملجأً للمحتاجين. كان الناس يعتقدون أن وجع الأسنان يزول إذا قام الإنسان بخلع ضرسه ودفنه في شقوق الباب وأن ألم الرأس يختفي بدق مسمار في البوابة وربط خيوط فوقه.



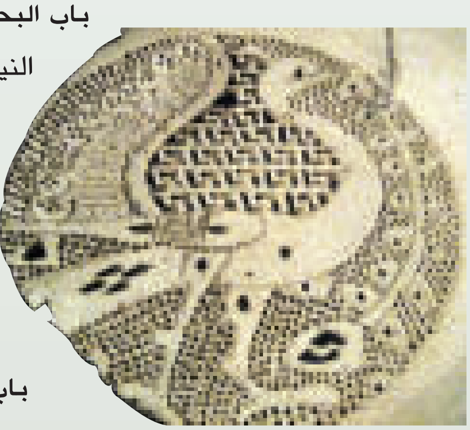
شباك من الفخار كان يُرسم على الأواني الفخارية

القصر الشرقي الكبير

أقام القائد جوهر للخليفة المعز قصرًا فخمًا في شرق المدينة سمي بالقصر الشرقي الكبير، وكان مبنيًّا بالحجر، وله تسعة أبواب هي:

باب العيد: ليخرج منه الخليفة يوم العيد.

باب الزمرد: وهو يصل إلى قصر الزمرد.



باب البحر: يصل منه الخليفة إلى النيل.

باب الذهب: لكي تدخل منه المواكب ورجال الدولة.

باب الزهومة: وهو باب المطابخ الذي تدخل منه اللحوم والأطعمة.[1]

باب قصر الشوك: وهو يصل إلى قصر بهذا الاسم، ويطلق عليه العامة (قصر الشوق).

باب تربة الزعفران: وهو يصل لمقابر الخلفاء التي بداخل القصر.

باب الريح: وهو باب ذو واجهة بحرية يواجه الرياح الشمالية التي تهب على القصر.

باب الديلم: لكي يدخل منه الخليفة إلى المشهد الحسيني.

مساحة القصر كانت (70) فدانًا، وبه سراديب تمر تحت الأرض، تصل القصر بأماكن مختلفة بالمدينة. لم يكن مسموحًا بتشييد أي بناء بجوار هذا القصر، وكان بالقصر قاعة استقبال رئيسية يوجد بها عرش الخليفة، وتستخدم للمقابلات الرسمية وتسمى (قاعة الذهب) وكان الخلفاء يجلسون بها يومي الإثنين والخميس.[2]



طاسة الخضة

(1) الخطط المقريزية، ج2، ص297.
(2) الخطط المقريزية، ج2، ص215.

وصف ناصر خسرو للقصر

ناصر خسرو هو رحالة فارسي مشهور زار مصر (1047-1049م) في عهد (الخليفه المستنصر) وذكر أن القصر الشرقي كان يقع في وسط القاهرة وكانت أسواره عالية لا تسمح برؤية ما بداخله. وكانت أبواب القصر يحرسها في الليل خمسمائة من الفرسان وخمسمائة من الحراس ويعمل به آلاف من الخدم والجوارى.[1]



طبق من الخزف مطلي ببريق معدني لامرأة تزف على العود من العصر الفاطمي في عهد العاضد بالله



طبق من الخزف ذو بريق معدني به رسم لغزالة حيث انتشر في العصر الفاطمي رسم الحيوانات

وفود أجانب وصفوا لنا القصر الشرقي

في عهد الخليفة (العاضد بالله) جاءت رسل الملك (عموري الأول) ملك القدس لمقابلة الخليفة وتركوا لنا وصفًا دقيقًا للقصر. وقد ذكروا أن الأرضية عبارة عن رخام ملون بألوان كثيرة، وفي وسط كل فناء توجد فسقيات يجري بها الماء في أنابيب ذهبية وفضية، وبالقصر حدائق تسقى من الآبار عن طريق الطواحين الهوائية، وتحتوي على أنواع نادرة من الطيور والحيوانات. أما الستائر فمصنوعة من الحرير المزين بخيوط الذهب والمرصع بالجواهر والأحجار الكريمة. يزين القصر تحف ثمينة، من أجملها نخلة من الذهب وبلحها من الجواهر، وطاووس من الذهب عيناه ياقوت أحمر وريشه من الزجاج الملون. ويعكس لنا وصف القصر مدى قوة وثراء الخلفاء الفاطميين وإسرافهم في حياة الترف والبذخ، وقد اندثر هذا القصر تمامًا اليوم[2] وبقيت منه هذه الأطباق.



(1) القاهرة، ص98.
(2) الخطط المقريزية، ج2، ص217.

البروتوكول

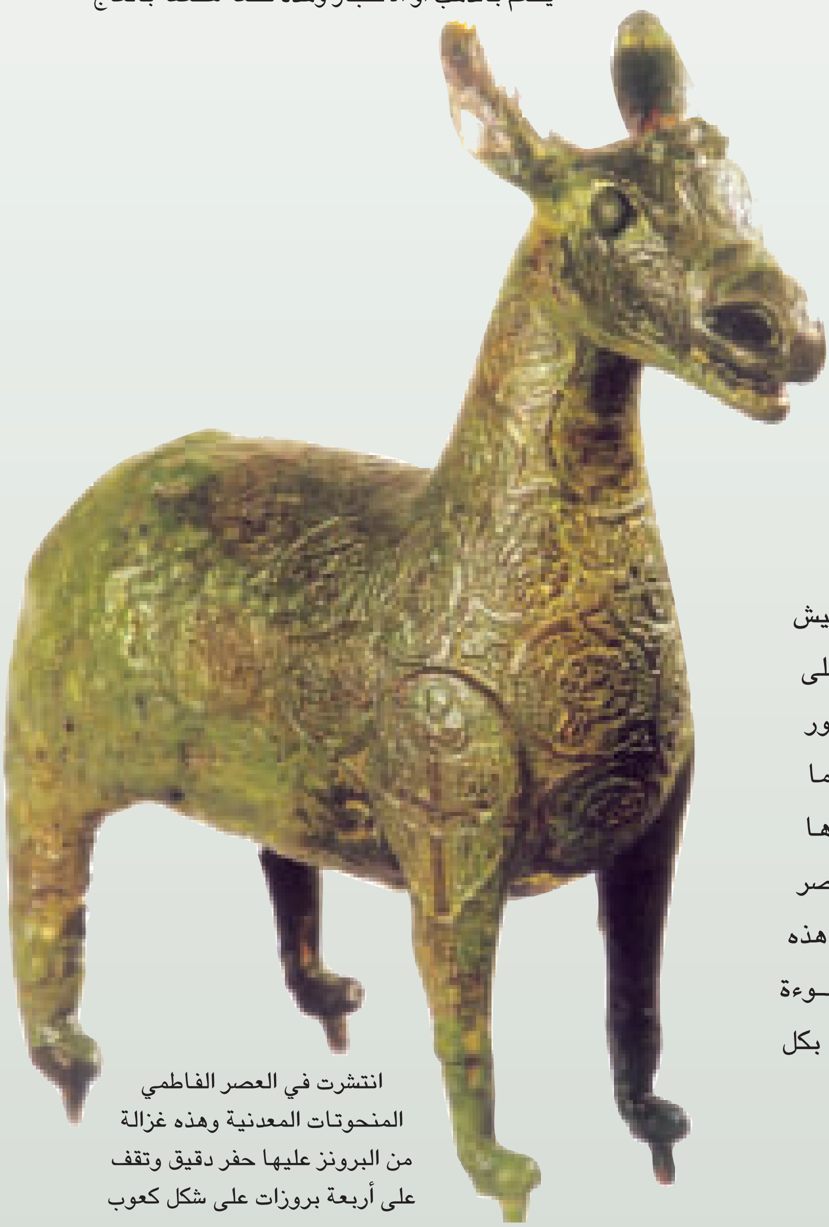
اهتم الفاطميون كثيرًا بالبروتوكول أي بالنظام والآداب التي يجب اتباعها، خاصةً في حضور الخليفة. وكان أمام كل باب حارسان يصحبان الزوار حتى يسلماهم لحراس البوابة التالية، وعند الدخول لمقابلة الخليفة كان الناس يخلعون سيوفهم، ولا يجلس في وجوده أحد. وعند الجلوس على مائدة طعامه كان الأعلى منصبًا ومقامًا هو الأقرب منه مجلسًا، يليه الأقل منصبًا.



انتشرت الأقمشة الحريرية والتطريزات وكان القماش يُطعم بالذهب أو الأحجار وهذه قطعة مُطعمة بالعاج

القصر الغربي الصغير

شيده الخليفة (العزيز بالله) سنة (1065م) وهو يقع في غرب المدينة، ويفصل بينه وبين القصر الشرقي ميدان بين القصرين وهو ميدان فسيح تقام فيه عروض الجيش ويستوعب (10,000) فارس. وقد أطلق على القصرين الشرقي والغربي اسم (القصور الزاهرة) ومع مرور الوقت شيد حولهما عدة قصور مملوكة للخلفاء، يصل عددها إلى عشرة قصور، مثل قصر الغزالة وقصر اللؤلؤة والقصر المظفر. وكانت بداخل هذه القصور فسقيات وأحواض كبيرة مملوءة بالماء لمقاومة أي حريق. وكان يعمل بكل هذه القصور (12,000) خادم.[1]



انتشرت في العصر الفاطمي المنحوتات المعدنية وهذه غزالة من البرونز عليها حفر دقيق وتقف على أربعة بروزات على شكل كعوب

(1) الخطط المقريزية، ج2، ص332.

الجامع الأزهر



الجامع الأزهر

بنى الجامع الأزهر قائد الجيوش جوهر الصقلي (970م) جنوب القصر الشرقي، وهو المسجد الرسمي لمدينة القاهرة. كان له ثلاث بوابات وصحن مكشوف في الوسط، وبه العديد من الزخارف الكتابية وكان مطليًّا باللون الأبيض. وسمي بالأزهر نسبة للسيدة (فاطمة الزهراء) بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان به مدرسة لنشر تعاليم المذهب الشيعي الذي يدين به الفاطميون. وكانت للجامع الأزهر الزعامة الثقافية والعلمية والدينية على بقية الجوامع. احتفظ الشعب المصري بمذهبه السني ولم يأخذ بالمذهب الشيعي الذي جاء به الفاطميون، فكان المصريون يحضرون حلقات العلم التي يلقيها علماء السنة في جامع (عمرو بن العاص) وجامع (أحمد ابن طولون). وقد اتسعت اليوم مساحة الأزهر كثيرًا، وهو أكبر جامعة إسلامية الآن، يفد إليه الطلاب للتعليم من مشارق الأرض ومغاربها.[1]

أين يتنزه الخلفاء؟

كان للخلفاء الفاطمين استراحات كثيرة بالقاهرة، يذهبون إليها للنزهة والاسترخاء أو لحضور الاحتفالات. كانت هذه الاستراحات محاطة بالبساتين ومفروشة بأفخر الأثاث وكان يطلق عليها المناظر، كما كانت تسمى جنات الدنيا المزخرفة لجمالها الشديد ومن هذه الإستراحات (منظرة اللؤلؤة) التي تشرف على البستان الكافوري و(منظرة المقس) التي تطل على النيل و(منظرة الغزالة) التي تطل على الخليج و(منظرة السكرة) التي يجلس فيها الخليفة يوم عيد فتح الخليج.[2]

(1) القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة، ص54، وص79-84.
(2) الخطط المقريزية، ج2، ص363-378.

منشآت فاطمية

- دار العلم (دار الحكمة)



قطعة من النسيج مصنوعة من الكتان

أنشأها الخليفة (الحاكم بأمر الله) (1009م) بجوار القصر الغربي، ووضع بها عددًا كبيرًا من الكتب في مختلف العلوم والفنون، كما عين بها عددًا من الأساتذة وفتحها لطلاب العلم، وسُمح لسائر الناس بدخولها للقراءة والنسخ وأوقف عليها الأوقاف.(1)

دار الكسوة

كانت تصنع بها كسوة الكعبة الشريفة من الحرير الأبيض مدونًا عليها آيات قرآنية مزينة باللؤلؤ والزمرد.

دار الديباج

كانت تنتج أنواعًا متميزة من الحرير، الذي يعرف بالحرير الديباج.

دار الطراز

أقيمت دار طراز للخاصة، تصنع ثياب الخليفة والأمراء والوزراء والجنود، كما أقيمت دار أخرى للعامة تصنع ملابس لعامة الناس.

دار الفطرة

كانت تستخدم لإعداد الحلوى والفطائر التي توزع في الأعياد والمناسبات داخل وخارج القصر.(2)

دار الضيافة

هي دار عظيمة مجهزة لاستقبال الرسل الوافدين لزيارة الخليفة، ويقوم على خدمتهم مهمندار وهو خادم خاص لتلبية طلبات الضيوف.

دار الحسبة والعيار

هي دار لمراقبة الموازين والمكاييل والإشراف على الأسواق.

خزائن الفاطميين



كانت بالقصر الشرقي عدة خزائن لحفظ المقتنيات الثمينة، يقوم على حراستها عدد كبير من الجنود:

– خزائن السلاح: وكانت تحتوي على السيوف والرماح والخناجر الذهبية المرصعة بالجواهر.

– خزائن الكتب: وكانت تحتوي على (160) ألف كتاب في النحو والتاريخ والفلك والكيمياء والطب واللغات وسائر العلوم المختلفة كما تحتوي على (18,000) مخطوط قديم.(3)

(1) الخطط المقريزية، ج2، ص 235 – 237.
(2) الخطط المقريزية، ج2، ص281.
(3) الخطط المقريزية، ج2، ص254.



قطعة من البِلَّوْر الصخري
توضح أنهم اهتموا بأنواع الزجاج

– خزائن الملابس والكسوات: وكانت تحتوي على (12,000) رداء للخليفة من مختلف الألوان.
– خزائن الجواهر: وكانت تحتوي على صناديق مملوءة باللآلئ والياقوت والزمرد والأحجار الكريمة، كما تحتوي على خواتم وتماثيل من الذهب والفضة.
– خزائن العطور: وكانت تحتوي على تشكيلة كبيرة من العطور مثل المسك والعنبر.
– خزائن السروج الملكية: السروج هي أغطية تشد فوق ظهر الخيول وهي مزينة بالذهب والفضة والأحجار الكريمة.
– خزائن الشراب: وكانت تحتوي على كميات كبيرة من الشربات والسكر والعقاقير.
– خزائن التوابل: وكانت تحتوي على البخور والصبر والزعفران والتوابل المختلفة.
– خزائن الخيام: تحتوي على الخيام المصنوعة من المخمل (القطيفة) والديباج (الحرير).
– خزائن الأقمشة: وكانت تحتوي على أنواع متقنة الصنع من الأقمشة الكتانية والحريرية والصوفية.
– خزائن الفرش والأمتعة: وكانت تحتوي على أثاث نادر لفرش القصور الملكية.
– خزائن البنود: ويوجد بها الرايات والأعلام (الألوية).[1]

وكان الخلفاء يقومون بتفتيش هذه الخزائن من وقت لآخر للاطمئنان على محتوياتها.[2]



إناء من البِلَّوْر الصخري عليه حفر
ونقوش نباتية ويستخدم في صب الماء

وصف ناصر خسرو لمدينة القاهرة:

يقول (ناصر خسرو) إن القاهرة واحدة من أكبر مدن العالم وأن بها خانات وحمامات ومباني عامة يعجز الإنسان عن حصرها. كما يقول إن من يريد أن يزرع حديقة في مصر يمكنه تحقيق ذلك في أي فصل من فصول السنة فهناك أناس يزرعون أشجارًا في براميل خشبية، يضعونها فوق أسطح منازلهم ويقومون ببيعها للناس حسب الطلب. ويعلق على ذلك قائلًا: «ولم أشهد لهذا مثيلًا في أي بلد في العالم، ولم أسمع بهذا في أي مكان آخر ولابد أن أضيف أنها عادة لطيفة جدًّا.»[3]

العملات

في عصر الدولة الإخشيدية التابعة للدولة العباسية كانت النقود المستخدمة هي الدينار الذهبي. وعندما وصل الفاطميون أنشئوا (دار الضرب) لسَكِّ العملة في القاهرة وسكوا الدينار الفاطمي المعزي نسبة لـ (المعز لدين الله الفاطمي) وسكوا أيضًا الدينار الذهبي وكان منقوشًا عليه بخط كوفي على الوجه الأول (لا إله إلا الله) وعلى الوجه الآخر اسم الخليفة ولقبه وتاريخ الضرب.





مجموعة من الدنانير التي سُكَّت في عصر الخليفة الفاطمي
وكانت تصنع من الذهب ويكتب عليها اسم الخليفة

(1) الخطط المقريزية، ج2، ص287.
(2) الخطط المقريزية، ج2، ص253 – 280.
(3) القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة، ص51–2.



اهتم الحكام الفاطميون بوضع التماثيل التي تعبر عن القوة، فالتمثال يفتح فمه ويضغط على قدميه الخلفيتين في وضع استعداد للهجوم

نظام الحكم

أحاط الخلفاء الفاطميون أنفسهم بالكثير من الاحترام والتقدير وكان الخليفة يجمع في يده جميع السلطات ويطلعه وزراؤه على جميع شئون الدولة المختلفة. وقد عين الخليفة ولاة لحكم الولايات البعيدة التي تقع تحت سيطرة الدولة الفاطمية مثل المغرب والشام والحجاز واليمن وطرابلس وسرت وبرقه وفزان. وكان الحكم وراثيًا فكان ينتقل من الأب إلى الابن الأكبر، حتى لو كان الابن طفلًا صغيرًا.

الهرم الاجتماعي

الخليفة الفاطمي: كان على رأس الهرم الاجتماعي، ويجمع في يده جميع السلطات.

الأمراء: هم أسرة وأقارب الخليفة.

الوزراء: يشرفون على شئون الجيش والولاة والعمال والقضاة.

أعيان المدينة: هم كبار التجار والقضاة والمحتسبون والعلماء والأدباء والمهندسون والأطباء.

الجنود: الذين جلبهم (جوهر الصقلي) وهم مغاربة وروم وأرمن وسودانيون وأتراك.

الفئة العامة من الناس: وتشمل أصحاب المهن والحرف المختلفة مثل الجنازين والبنائين والسقائين ثم العبيد.



كان المجتمع مكونًا من:

- المسلمين السنة.
- الفاطميين الشيعة.
- المسيحيين واليهود.

أشهر وزراء الدولة الفاطمية

كان للوزراء في العصر الفاطمي مكانة عالية، وكانت المنافسة شديدة على هذا المنصب الذي كان أحيانًا ينتقل إلى أبناء الوزراء بالوراثة. ولقد ازداد نفوذ الوزراء بعد حكم الخليفة (المستنصر بالله) حيث جاءَ خلفاء ضعفاء، وبدأ الوزراء يستبدون بأمور الحكم، وفاق نفوذهم نفوذ الخلفاء وأصبح في استطاعتهم تعيين الخلفاء وعزلهم. ولقد ترك لنا وزراء العصر الفاطمي العديد من المنشآت المعمارية.

بدر الجمالي

هو أمير الجيوش (بدر الجمالي) بنى أسوار القاهرة وجدد أبواب زويلة والنصر والفتوح، كما بنى جامع الجيوشي الذي ينسب إليه (كأمير الجيوش) فوق جبل المقطم.

الأفضل بن بدر الجمالي

تولى الوزارة بعد أبيه في عهد الخليفة (المستعلي بالله)، وبعد وفاة المستعلي تولى مكانه ابنه (الآمر بأحكام الله) وكان عمره خمس سنوات فصارت السلطة كلها في يد الأفضل.



رسم جداري لرجل وجد في حمام في الفسطاط،
فمن المعروف أنهم اهتموا بالحمامات
وتجميلها بالصور والحفر على جدرانها

يعقوب بن كلس

كان أول وزير يهودي في الدولة الفاطمية بمصر في أيام حكم (المعز لدين الله الفاطمي) ثم في حكم ولده العزيز.

مأمون البطائحي

هو (المأمون أبو عبد الله بن أبي شجاع) كان وزيرًا للخليفة (الآمر بأحكام الله). وقد بنى الجامع الأقمر وكان مكروهًا من الناس، لأنه كان يسيء معاملتهم.

طلائع بن رزيك

هو (أبو الغارات طلائع بن رزيك) تلقب بالملك الصالح، وكان وزيرًا في عصر (الفائز بنصر الله) الذي كان في الخامسة من عمره، فصار (الصالح طلائع) هو الحاكم الفعلي. وقد بنى جامعه المشهور القائم خارج باب زويلة.

وظائف القصر

تعددت الوظائف المختلفة في القصور الفاطمية:
- زمام القصر: هو المشرف على قصور السلطان.
- متولي بيت المال: هو المسئول عن الخزانة.
- حامل المظلة: هو الذي يحمل المظلة للخليفة، وكان يلقب بالأمير الأعظم.
- مقدم خزانة الكسوة: هو الذي يتسلم ملابس وكسوة الخليفة.
- حامل السيف: هو الذي يحمل سيف الخليفة. المحلى بالذهب.
- الكتاب: هم الذين يعملون في الدواوين المختلفة.
- صاحب الباب: رئيس ديوان الأمراء.
- الإسفهسلار: هو رئيس الجند.
- أرباب الأطواق: هم رؤساء أقسام الجيش المختلفة.
- أرباب القصب: هم حاملو الأعلام في مواكب الخليفة.



رواتب الموظفين الشهرية بالقصر

- الوزير: 5,000 دينار
- قاضي القضاة: 2,000 دينار.
- حامل السيف: 70 دينارًا
- طبيب الخليفة الخاص: 50 دينارًا.
- فراشو القصر: 15 دينارًا
- الخدم: 5 دنانير.

كان راتب الوزير يعد كبيرًا مقارنة براتب قاضي القضاة. وهذا يدلنا على التقدير الكبير والمكانة العالية التي كان يحظى بها الوزير في زمن الدولة الفاطمية.

الدواوين

كانت الدولة الفاطمية تدير شئون البلاد عن طريق مجموعة من الدواوين يختص كل منها بعمل معين مثل:

- ديوان الجيوش والرواتب: لمراقبة وتنظيم أمور الجيش والرواتب.
- ديوان الإنشاء والمكاتبات: لكي يستقبل ويرد على الرسائل المدونة للخليفة.
- ديوان النظر: للإشراف على الأمور المالية.
- ديوان التحقيق: للمراقبة على الدواوين.
- ديوان المجلس: للنظر في جميع شئون الدولة.



مشغولات خشبية

الجيش

كان الجيش الفاطمي مكونًا من (100, 000) جندي من جنسيات مختلفة، مغاربة وصقالبة وأتراك وروم وأرمن وسودانيين، وكان الجيش يتألف من عدة أقسام:

- الفرسان من تركيا.
- المشاة من السودان.
- الرماة من الجزيرة العربية.

أسلحة الجيش

وكان الجيش مسلحًا بسيوف وسهام ورماح وأقواس ودروع ونشاب وهي أخشاب طويلة ذات نصل مثلث كما كان الجيش يمتلك عددًا كبيرًا من الآلات الحربية مثل:

- المنجنيق: آلة من الآت الحصار القديمة التي كانت ترمي حجارة ثقيلة فوق الأسوار لتهدمها.
- النفاطات: وهي آلات لرمي النار، ترمي قوارير مليئة بالنفط فوق الأعداء لتمنع تقدمهم.

وكان الجنود يتحلون بمهارة في استخدم الأسلحة وآلات الحرب وكان الفاطميون ينفقون الكثير من الأموال لإعداد الجيوش وتدريبها وتسليحها، وكان الجنود يضعون فوق رءوسهم خوذات معدنية، والفرسان يمتطون الخيول.

الأسطول

كان للدولة الفاطمية أسطول بحري قوي يحمي الدولة ضد أي غزو بحري وكان المقاتلون يستخدمون مراكب يطلق عليها الشواني.



طبق من الخزف الملون

الشرطة

استخدمت الشرطة في العصر الفاطمي لحفظ الأمن في البلاد ومساعدة القاضي في تنفيذ أحكام القضاء وإقامة الحدود وملاحقه المجرمين والمفسدين. كان في القاهرة مركزان مهمان للشرطة هما الشرطة السفلي ومركزها الفسطاط والشرطة العليا ومركزها القاهرة وكان لرجال الشرطة زي خاص بهم.



الضرائب

كانت الضرائب تعد من أهم مصادر الدخل الرئيسية للدولة. وتنقسم إلى نوعين هما:

الخراج

كان الخراج ضريبة تفرض على الأراضي الزراعية، وكان منسوب النيل يحدد كمية الخراج أي الضرائب التي سوف يتم تحصيلها من الناس. وكان يتم قياس منسوب النيل بواسطة مقياس يسمى(مقياس النيل).

– إذا وصل منسوب النيل إلى 16 ذراعًا يدفع الناس الخراج.

– إذا وصل منسوب النيل إلى 17 ذراعًا زاد الخراج بمقدار مائة ألف دينار.

– إذا قل منسوب النيل إلى 15 ذراعًا نقص الخراج بمقدار مائة ألف دينار.

لجأت الحكومة الفاطمية في تحصيل هذه الضرائب إلى (الجباية المباشرة) عن طريق متولي الخراج وهو المسئول عن تحصيل الضرائب بواسطة عمال يجمعون المبالغ المطلوبة من الناس. كما كانت تجمع الضرائب عن طريق (نظام الضامن) وهو يتم بواسطة شخص يدعى الضامن يدفع إلى الدولة سنويًّا مبلغًا يتفق عليه، هو قيمة الضرائب الكلية، ثم يجمع هو مبلغًا أكبر ويأخذ الفرق لنفسه. وكانت قيمة الضرائب للزروع تقدر حسب نوع وكمية المحصول ومساحة الأرض.

المكوس أو العشور

هي الضرائب التي كانت تدفع على الصناعة والتجارة، وتشمل كل السلع والمحلات والمنتجات المختلفة وكان هناك اثنان وسبعون نوعًا مختلفًا من المكوس.

ما هو مقياس النيل؟

يقع مقياس النيل بجزيرة الروضة وهو آلة تستخدم لقياس منسوب النيل، لمعرفة ما إذا كان الفيضان مناسبًا للزراعة أم لا وكان ذلك يتم عن طريق قياس ارتفاع المياه أثناء الفيضان. ويمثل بئرًا مربعةً يتم النزول إليها بسلم ويوجد في وسطها عمود من الرخام يحتوي على سبعة عشر ذراعًا طول الذراع حوالي نصف متر. يعلو هذا العمود كتابات كوفية.

البريد

خصصت مجموعة من الخيول السريعة لنقل الرسائل من الخليفة للولاة في سائر الولايات الفاطمية. كانت توجد محطات على الطريق ليغير المسئول عن البريد فرسه المتعب، ويكمل طريقه بفرس آخر. كما عرف الفاطميون أيضًا الحمام الزاجل الذي كانت تعلق الرسائل تحت أجنحته ويقوم بنقلها جوًّا من مكانٍ إلى آخر.

السجن

– حبس المعونة: كان دارًا مخصصة لحبس المجرمين من العامة.

– خزانه البنود: كانت مخصصة لحبس المخالفين من رجال الدولة مثل الأمراء والوزراء.

أعداء الدولة الفاطمية

القرامطة

هم أعداء الدولة الفاطمية وقد نشبت حروب كثيرة بين القرامطة والفاطميين:

- (1039 م) تقاتل القرامطة مع الفاطميين على أبواب القاهرة، وقتل عدد كبير من الفريقين.
- (1040 م) هجم أسطول القرامطة على الفاطميين في مصر عن طريق البحر وانهزم القرامطة، وقبض المصريون على (173) أسيرًا وعرضوهم على الخليفة المعز في القصر.
- (1040م) نشبت معارك بين القرامطة والجيوش الفاطمية في عين شمس.
- (1040-1041م) دخل القرامطة مصر وحشد الخليفة المعز الجيوش وهزم القرامطة الذين كان يقودهم (أحمد القرمطي) وجاء الناس لتهنئة الخليفة بالنصر.
- (1041م) دخل القرامطة مصر ونهبوا الكثير من الخيرات، كما هجموا على بلاد أخرى كثيرة تابعة للدولة الفاطمية والدولة العباسية مثل الكوفة والشام وبغداد وعمان ويافا واليمن.
- (1044م) هزم القرامطة الفاطميين بقيادة قائد الجيوش (جوهر الصقلي) فحشد الخليفة العزيز بالله جيشًا مكونًا من (70,000) جندي بقيادة وزيره (يعقوب بن كلس) وهزم القرامطة وأسر أعدادًا كبيرة منهم.[1]

الدولة البيزنطية



أسد من العصر الفاطمي يوضح الملامح الفنية للنحت في تلك الفترة والاهتمام بالزخرفة

نشبت الحروب بين الدولة البيزنطية والدولة الفاطمية منذ نشأه الدولة الفاطمية، وكانت تسود فترات هدنة بين الطرفين. وفي عهد الخليفة المستنصر بالله اضطربت شئون الخلافة الفاطمية وعانت مصر من الغلاء والقحط والأوبئة لمدة ثمانية أعوام، وقد وعد الإمبراطور الروماني (قسطنطين التاسع) أن يمد المستنصر بالغلال والمؤن ولكنه توفي قبل تنفيذ هذا الوعد، فخلفته الإمبراطورة (تيودورا) التي رفضت تنفيذ الاتفاق، فنشبت معارك شديدة بين البيزنطيين وبين جيوش المستنصر برًّا وبحرًا عام (1055م) وانتصر المصريون في الوقائع البرية وفشلت محاولات الصلح بينهما.

الدولة العباسية

خضعت كل بلدان العالم الإسلامي لحكم الدولة العباسية وكانت بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية. وقد انفصل الفاطميون وأعلنوا استقلالهم عن الدولة العباسية وأنشئوا خلافة فاطمية مستقلة في إفريقية، ثم نقلوا عاصمة الخلافة إلى القاهرة واتسع نطاق حكمهم ليشمل الشام والحجاز واليمن بالإضافة إلى مصر والمغرب.

(1) اتعاظ الحنفا، ص134 _ 297.



جزء من برواز عاجي

أرباب الوظائف الدينية

كان لرجال الدين مكانة عالية، وكان يطلق عليهم أرباب العمائم؛ لأنهم كانوا يرتدون عمائم كبيرة الحجم كنوع من التعظيم والوقار.

قاضي القضاة

كان المسئول عن القضاء في مصر وفي سائر الولايات، وكان يحكم في المظالم ويراقب دار الضرب ودارالعيار وكان يعد من كبار المستشارين للخليفة. وتعد وظيفة قاضي القضاة من أرفع المناصب الدينية، وكان مسئولًا عن تعيين القضاة.

داعي الدعاة

كان داعي الدعاة مسئولًا عن تنظيم الدروس والمحاضرات الدينية التي تنشر المذهب الشيعي الذي يدين به الفاطميون. وكانت هذه الدروس تلقى في قاعة تسمى إيوان القصر الكبير، وكان داعي الدعاة يلي قاضي القضاة في المرتبة ويعاونه اثنا عشر فقيهًا.[1]

الحياة داخل البوابات

اختلف المجتمع الذي عاش فيه الفاطميون كثيرًا عن مجتمعنا اليوم. تخيل نفسك قد سافرت عبر الزمن إلى القاهرة الفاطمية ستجد نفسك في مدينة مختلفة تمامًا عن قاهرة اليوم، فالشوارع ضيقة ومزدحمة، والناس يرتدون ملابس مختلفة، وتستخدم الحمير والجمال للتنقل من مكان لآخر، والسقا يحمل قربة الماء فوق ظهره ليسقي الناس في الشوارع.

كيف تحولت القاهرة من مدينة للخاصة إلى مدينة للعامة؟

بعد أن خفت حدة قلق الفاطميين من عدوان القرامطة إلى قبول المصريين لحكمهم بدأ السماح للعامة بالسكن داخل أسوار مدينة القاهرة. وفي نهاية العهد الفاطمي هجم الصليبيون على مصر. كان شاور صاحب السلطة الفعلية وهو الذي أحرق الفسطاط حتى لا يستولي عليها الصليبيون. وقد استخدم شاور (20,000) زجاجة نفط و(10,000) شعلة نار لإحراقها وظلت النيران بها لمدة (45) يومًا حتى دمرتها تمامًا (1168م). وبعدها انتقل أهالي الفسطاط إلى القاهرة وأقاموا بالأزقة والمساجد والحمامات العامة.[2]



صورة لحريق الفسطاط الذي ظل مشتعلًا 45 يومًا مما جعل العامة أهلها ينتقلون للقاهرة

(1) ابن إياس، ص132-33.
(2) ابن إياس، ص82.

الأعياد



كان الفاطميون يحتفلون بأعياد كثيرة وينفقون عليها ببذخ شديد:

عيد الفطر المبارك

في يوم العيد كان يخرج موكب عظيم للخليفة من القصر إلى مصلى العيد، ويجلس المؤذنون يكبرون في طريقه ثم يؤم الخليفة الناس لصلاة العيد في المصلى الواقع خارج باب النصر. بعد ذلك تبدأ الألعاب البهلوانية والاحتفالات ثم تجهز مائدة للعامة حافلة بالأطعمة المختلفة.(1)

عيد الأضحى المبارك

كان يخرج موكب عظيم للخليفة يرتدي فيه الخليفة حلة حمراء، وبعد صلاة العيد تذبح الأضاحي في (المنحر) وهو مكان مخصص للذبح كان يوجد بجوار باب العيد.

المولد النبوي الشريف

كان يصنع فيه تسعمائة كيلو جرام من الحلوى، توضع في ثلاثمائة صينية، وتوزع على الناس في الجامع الأزهر ثم يختم المصحف الشريف. وكانت تصنع في هذه المناسبة حلوى على شكل خيول وقطط وعرائس لإسعاد الأطفال. وفي عهد الخليفة الفاطمي (الحاكم بأمر الله) أصدر قرارًا بمنع الناس من الزواج إلا في يوم المولد النبوي الشريف، فاعتاد صانعو الحلوى أن يصنعوا عرائس وفرسانًا من السكر الملون ويقومون بتزيينها ابتهاجًا بالأفراح. وما زالت عادة صنع الحلوى على شكل عرائس وفرسان في المولد النبوي الشريف مستمرة إلى يومنا هذا.



جزء من برواز من العاج عليه ثلاثة عازفين وداخل الصور نقوش دقيقة

شهر رمضان المعظم

كان يطهى فيه مائتا إناء من الطعام، توزع على الفقراء كل يوم وكانت المساجد تمتلئ بالمصلين، وكان الناس يحملون الفوانيس المضاءة بالشموع، وهم في طريقهم للصلاة بالجوامع لتنير لهم الطريق، كما كانت توضع الفوانيس فوق مآذن الجوامع. واستمرت عادة استخدام فوانيس رمضان حتى يومنا هذا، ولكنها أصبحت للزينة فقط.(2)

خروج المحمل

هو كسوة الكعبة الشريفة التي كانت تصنع بمصر وتخرج في موكب حافل مع قافلة الحج إلى مكة المكرمة.

عيد فتح الخليج

فيه يتم رفع السد الواقع عند فم الخليج يوم وفاء النيل في كل عام، وكان مقياس النيل الذي يحدد منسوب المياه يدهن بالمسك والزعفران. كان الخليفة يركب السفينة الخاصة به التي تسمى العشاري ومعه وزراؤه وخاصته، ويذهب إلى مُنظرة السكرة لمشاهدة الاحتفال.(3)

(1) الخطط المقريزية، ج2، ص 383.
(2) الخطط المقريزية، ج2، ص 386.
(3) الخطط المقريزية، ج2، ص388.



طبق من الخزف ذي البريق المعدني

يوم رأس السنة الهجرية

هو اليوم الذي هاجر فيه الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، وأصبح هو بداية العام الهجري.

يوم مولد الخليفة

يوزع فيه الطعام والحلوى والدنانير على العامة من الناس.

الأطفال

يقوم الأطفال بشراء اللعب والحلوى من سوق الحلاويين وخاصة نوعًا يطلق عليه (على لوز) وهو سكر معقود وموضوع في صوانٍ فوقه لوز مقشر، وكذلك حلوى تسمى (العلاليق) وهي تصنع على شكل طيور وحيوانات، وتعلق فوق واجهات المحلات. كما احتفل الفاطميون ببعض الأعياد المسيحية.



صورة لحاجب كانت جزءًا من طبق خزفي

عيد النوروز

هو رأس السنة المصرية القديمة، فيه تغلق الأسواق ويخرج الناس للاحتفال في الشوارع ويجلس الخليفة في منظرة اللؤلؤة، ويعلو صوت الموسيقي والغناء والطرب.(1)

عيد الغطاس

يخرج كل الناس مسلمين ومسيحيين في الليلة التي تسبق العيد لشاطئ النيل وينصبون الخيام وينزلون في قوارب ويسبحون في النيل، على الرغم من البرد القارس. ويكثر فيه الناس من أكل الفواكه واللحم الضأن وتبادل الهدايا من الأطعمة والحلوى.(2)

عيد الميلاد

هو عيد الميلاد المجيد يوم (6 /7) يناير وفيه توقد المصابيح بالكنائس وتزين المحلات بالفوانيس ويوقد الناس الشموع، ويفرق عليهم الحلوى والأسماك.(3)

موكب الخليفة

تخيل نفسك في يوم الاحتفال بأول العام الهجري في القاهرة الفاطمية مع جموع الناس التي تحتشد في الشوارع على الجانبين لمشاهدة موكب الخليفة. وأخيرًا يظهر الخليفة ممتطيًا صهوة جواده ذي اللجام الذهبي المرصع بالعنبر الرمادي. يرتدي الخليفة حلة بيضاء رمز الدولة الفاطمية مزينة بخيوط الذهب الفخمة، وفوق رأسه عمامة مرصعه بجوهرة تزن (11) قيراطًا حولها هلال من ياقوت أحمر وزمرد أخضر. يظلل رأس الخليفة مظلة بأعمدة ذهبية مرصعة بالجواهر لتحمي رأسه من أشعة الشمس، ويسير وراءه عشرة رجال، يحمل كل



جزء من برواز مصنوع من العاج

(1) الخطط المقريزية، ج2، ص389.
(2) الخطط المقريزية، ج2، ص391.
(3) الخطط المقريزية، ج2، ص391.

منهم سيفًا فوق قماش من القطيفة الحمراء ومن ورائهم الوزير، ثم خمسمائة رجل من الجيش يليهم الموسيقيون وقارعو الطبول ويأتي في نهاية الموكب أصحاب الرايات الذين يحملون الأعلام. يشق الموكب طريقه وسط هتاف أهالي القاهرة، والمحلات كلها مزينة والأطفال يلبسون ملابس جديدة، ويعلو صوت الأبواق ورائحة البخور تملأ الجو، يمشي وراء الخليفة رجل يلقي بالدنانير الذهبية فوق رءوس الناس، وعادة ما يبدأ الموكب من قصر الخليفة متوجهًا نحو باب الفتوح.[1] وكان موكب الخليفة الفاطمي يعكس مدى الثراء ومدى قوة الخليفة وسلطته.



المائدة الملكية

بعد انتهاء الخليفة من صلاة العصر يرجع إلى القصر وتوضع مائدة كبيرة من الفضة عليها أوانٍ من الذهب وأوانٍ من الخزف، ويجلس الخليفة وعلى يمينه الوزير ووراءه أربعة من الخدم. وتحتوي المائدة على واحد وخمسين كيلوجرامًا (بالرطل المصري) من الخبز الأبيض شديد النقاء وعشرين طبقًا تحتوي على خراف محمرة محاطة بدجاجات وطيور محشوة باللحم المفروم. أما الحلوى فهي أربعة وثلاثون قنطارًا، أي ما يوازي سبعمائة وخمسين كيلوجرامًا من الأنواع المختلفة من الحلويات المغطاة بورق من الذهب. ويجلس الناس تبعًا للبروتوكول حسب مناصبهم ومكانتهم الاجتماعية فالأعلى منصبًا هو الأقرب للخليفة.

ليالي الوقود الأربع

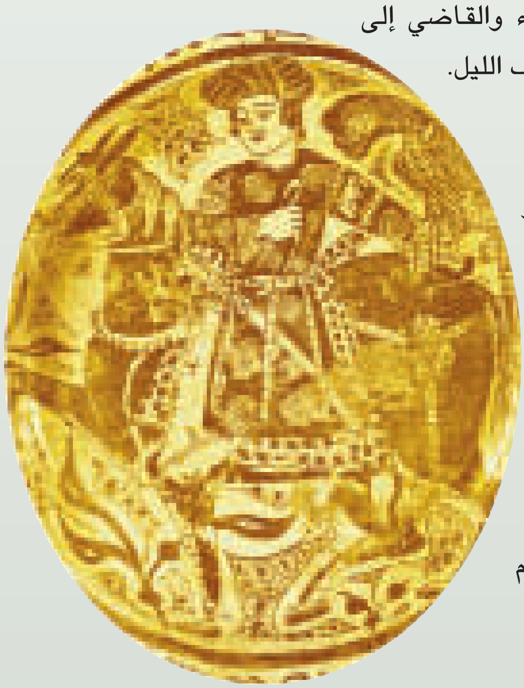
هي أول شهر رجب، ونصفه، وأول شهر شعبان، ونصفه ويحرص المسلمون على هذه الليالي استعدادًا لشهر رمضان المعظم. ويخرج الناس لمشاهده الاحتفالات في هذه الليالي الجميلة التي تكثر فيها أعمال الخير والبر[2] وتضاء الجوامع والمآذن بالقناديل والشموع والمصابيح، ويطلق البخور. يذهب الخليفة والوزراء والقاضي إلى الجامع الأزهر وتتلى آيات من القرآن الكريم، ويمتد الاحتفال حتى منتصف الليل.

الملابس

لقد اختلفت الملابس في عصرنا الحالي إختلافًا كبيرًا عن ملابس العصر الفاطمي، كانت صناعة النسيج من الصناعات المتقدمة، وكانت الملابس تختلف حسب المهن التي يمارسها الأشخاص، وكانت تعكس مدى غنى أو فقر صاحبها ومكانته الاجتماعية. كانت الدولة الفاطمية تصرف لموظفيها ملابس رسمية وكان لديها خزانة خاصة تسمى خزانة الكسوة، توزع الملابس على أصحاب الوظائف صيفًا وشتاءً.

- ملابس الأمراء والقادة:

كانوا يرتدون ثيابًا مصنوعة من القماش المطرز ويضعون فوق رءوسهم عمائم مشغولة بخيوط بالذهب.



طبق من الخزف له بريق معدني لفارس

(1) القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة، ص75–76.

(2) الخطط المقريزية، ج2، ص386.



- **الوزراء:**

كانوا يلبسون ثيابًا قصيرة، تسمَّى (الذراريع) لها أزرار من ذهب ولؤلؤ، وهي علامة الوزراء ويلبسون أيضًا (الطيلسان) أي الشال المطرز.

-**الجيش:**

كان الجنود يلبسون ثيابًا من الحرير المذهب ويضعون في وسطهم أحزمة، وكانت الأكمام واسعة وكثيرًا ما كانوا يحيطون سيقانهم بشرائط من القماش. كانت ملابسهم جميعًا من اللون الأبيض رمز الدولة الفاطمية.

- **القضاة:**

كان الزي الرسمي للقضاة هو(الطيلسان). وكان القاضي يضع فوق رأسه عمامة كبيرة الحجم.

- **المحتسب:**

كان يلبس(جبة) أي ثوبًا واسع الأكمام، فوقه (بردة) أي عباءة و(طيلسان) أي شال مطرز.ويضع فوق رأسه عمامة مذهبة.

- **الرجل الغني**

كان الرجل الغني يلبس سراويل وقمصانًا ذات أكمام واسعة وعمامة تغطي الرأس من الحرير والكتان، مع نعل في القدم.

- **التجار:**

كان التجار يلبسون ثيابًا واسعة وقلنسوة، أي عمائم مدورة وعباءة طويلة تنزل على أكتافهم مع حزام في الوسط.

ملابس العامة:

كانوا يلبسون ملابس بسيطة تناسب أعمالهم، مع غطاء فوق الرأس.

- **البناءون:**

كانوا يرتدون سراويل ضيقة.

- **صانع العجين:**

كان يرتدي ثوبًا بدون أكمام، حتى لا يلتصق بالعجين، ويربط على رأسة منديلًا مثلثًا.

- **السقا:**

كان السقا يلبس سروالًا أزرق ضيقًا قصيرًا وفوقه قميص من نفس اللون. كان سروال السقا قصيرًا حتى يستطيع النزول إلى النيل ليملأ القرب بالماء.

- **العمامة:**

كانت للعمامة مكانة هامة، فحجمها ولونها وشكلها توضح مكانة صاحبها الاجتماعية ومهنته، وكانت أيضًا رمزًا للمهابة والاحترام. كان اللون الأبيض هو لون عمامة الخليفة، واللون الأسود هو لون العمامات العسكرية. أما اللون الأخضر فهو لون عمامة القضاة وكانت عمامة القاضي كبيرة الحجم لتميزه عن باقي الموظفين. كانت العمامة تعكس مدى أهمية مرتديها على خلاف النظرة التي ينظرها الناس اليوم، معتبرين أن ارتداء العمامة مثار للسخرية والاستهزاء.



النساء:

كن يلبسن غطاء للرأس يسمى عصابة، عبارة عن منديل مثلث وتوضع فوقه قطعة من القماش الطويل. أحيانًا كانت المرأة تغطي رأسها بعمامة أو طاقية ملفوف فوقها منديل. وكان النساء يلبسن أثوابًا طويلة أو قصيرة فوقها ملاءة واسعة لتخفي معالم أجسادهن ويغطين وجوههن بحجاب يظهر فقط العينين، ويضعن في أرجلهن خفًّا، أما في المنزل فيرتدين ثوبًا خفيفًا وقبقابًا خشبيًا ذا كعب عاليًا. كانت المرأة الغنية ترتدي أثوابًا مطرزة بالخيوط الذهبية والأحجار واللؤلؤ، وكانت النساء يضعن الكحل في أعينهن والحناء في أيديهن وأرجلهن وكن يستخدمن عطورًا كثيرة مثل المسك والعنبر ويضعن قلادات وخواتم وأساور وأقراطًا. كانت المرأة المصرية في العصر الفاطمي مهتمة بزينتها وجمالها كثيرًا داخل المنزل، ولم تتلقَّ المرأة قسطًا كافيًا من التعليم في العصر الفاطمي.[1]

عمل النساء

كان مكان المرأة هو المنزل وكانت تعيش في الحريم وهو مكان خاص لا تختلط فيه بالرجال الغرباء ولايرونها. كانت المرأة تخرج للعالم الخارجي لو اقتضت الضرورة ذلك من وراء حجاب. ولكن بالنسبة للنساء الفقيرات ممن اضطررن للعمل كن يعملن «كبلانات» يُزينَّ النساء أو ماشطات يمشطن شعر النساء في الحمامات العامة أو كدلالات يبعن البضائع المختلفة في البيوت.

صلاة المرأة

كان للنساء أماكن مخصصة للصلاة في الجوامع ولهن طرق منفردة حتى لا يراهن الرجال.

الطعام والشراب

كان الشراب المفضل للناس هو الشربات المستخرج من النباتات والفواكه مع إضافة السكر والماء. كما كانوا يحبون شراب العسل المكون من ماء وعسل و(الأقسما) وهو الماء مضاف إليه السكر وماء الورد والمسك.

طعام العامة

كان طعام العامة مكونًا من ثلاث وجبات إفطار وغداء وعشاء، وكانت الأكلات الشعبية المفضلة للعامة هي:

- خبز الخشكار: أو الخبز الأسود وهو مصنوع من دقيق غير منخول.
- الهريسة: وهي لحم الدجاج المهروس مع الدقيق والبصل والتوابل.
- العصيدة: وهي قمح وشعير مع اللحم.



رسم لامرأة مأخوذ من قطعة من الخزف

(1) حياة العامة في العصر الفاطمي، ص289.

– شوربة العدس والفول المسلوق: كانت أكثر الأكلات انتشارًا.
– المضيرة: وهي لحم يطبخ باللبن
– الملوخية: كانت من أحب الأكلات للمصريين، ولا تزال حتى اليوم الأكلة الأكثر شعبية.
– الأسماك: كانت من الأغذية الرئيسية؛ لرخص أسعارها.
– النيدة: هي القمح المطبوخ مع السكر والدقيق، وكانت محببة جدًّا للناس[1]
– كعب الغزال: كان يصنع من الدقيق والعسل.
– صابونية: حلوى مصنوعة من دقيق وسكر وسمن، وتشكل على شكل قوالب صابون.

وكان العامة يشترون الطعام الجاهز من المحلات؛ لأن سعر الوقود كان عاليًا. وكانت هذه المحلات تفتح قبل الفجر بساعة.[2]


طبق من الخزف ذي البريق المعدني

طعام الأغنياء

بعد عناء التاجر الغني في عمله يعود إلى منزله وقت الغداء وعادة يكون بصحبته عدد من الضيوف؛ لأن الكرم صفة متأصلة عند المصريين منذ قديم الزمان. لاتجلس الزوجة ولا البنات مع الأب على مائدة الطعام احترامًا له. كان يتم وضع الطعام على موائد مصنوعة من النحاس، يجلس حولها الرجل وضيوفه يتناولون طعامهم من طبق واحد.

والطعام مكون من:
– خبز السميذ: ويصنع من أرقى أنواع الدقيق.
– قلاعمون: خبز مكون من دقيق وسمن ولبن وبيض وسمسم وفستق وكراوية.
– رغيف الصينية: وهو خراف وفستق مهروسان بماء الورد والرقاق مع الدقيق[3]
– سمبوسك لحم: فخذ ضاني مهروس مع مكسرات وبقدونس ومحشو في الرقاق.
– كما تحتوي المائدة على أنواع كثيره من الخضراوات المطبوخة مثل الجزرية (جزر مطبوخ) واللفتية (لفت مطبوخ).

الحلوى

– خشكنانج: بقلاوة دقيق مع لوز وسكر.[4]
– فستقية: دجاج مسلوق مع ماء الورد مع سكر وفستق.[5]
– الجوزاب: لحم مع أرز وسكر.
– الكنافة والقطائف: تعتبر من أشهر أنواع الحلوى في العصر الفاطمي ولا يزال المصريون يقبلون على تناولها، خاصة في شهر رمضان المعظم.


قطعة من برواز مصنوع من العاج

أدوات المائدة

كان الناس يستخدمون الأطباق الخزفية الملونة المصنوعة من الفخار والأطباق المصنوعة من الزجاج للطعام. كما استخدموا الأواني الزجاجية والأواني المتينة المصنوعة من البلور والأكواب الزجاجية للشراب. أما الفقراء فقد استخدموا نوعًا من الفخار غير

(1) الإفادة والاعتبار، ص118
(2) الخطط المقريزية، ج2، ص386–387.
(3) الإفادة والاعتبار، ص119.
(4) الإفادة والاعتبار، ص120.
(5) الإفادة والاعتبار، ص119.

المدهون لرخص أسعاره. كان الطعام يطهى في قدور كبيرة، وكانت القلل تستخدم لتبريد الماء.

أداب المائدة

كان من عادة الناس أن يغسلوا أيديهم قبل وبعد الطعام في إناء كبير بواسطة إبريق مصنوع من النحاس، وكانوا يلتفون حول مائدة واحدة ويأكلون من طبق واحد، وبعد تناول الطعام ينظفون أسنانهم بالسواك، ويمضغون أعشابًا معطرة.



فسقية مصنوعة من الرخام

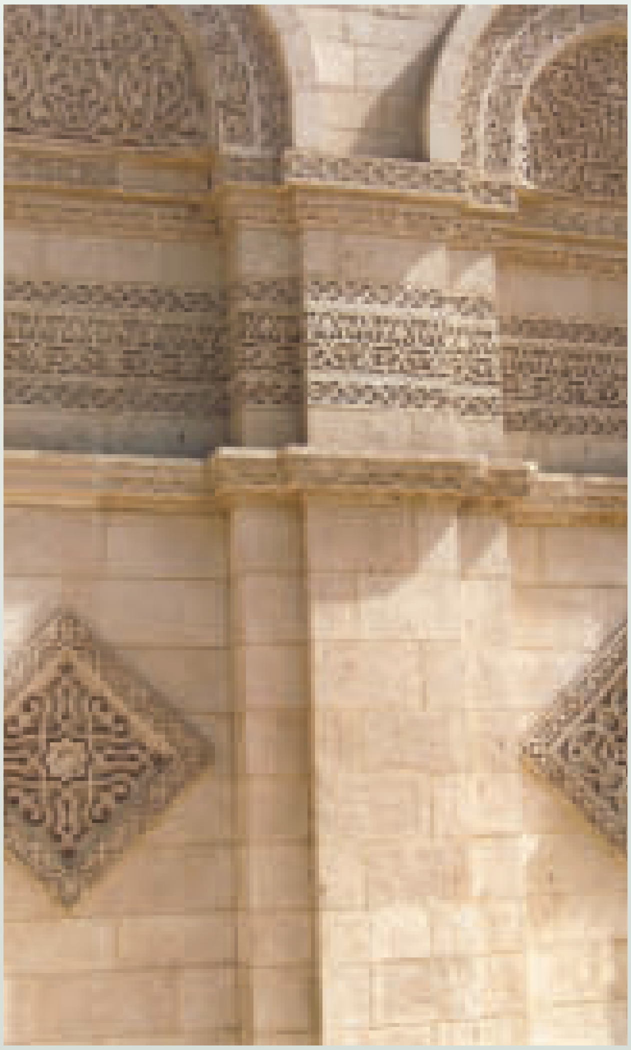
البيوت

مسكن الفقراء

هو مسكن بسيط ولكنه نظيف، مكون من طابق واحد، وسقف مصنوع من جذوع النخل، ودار عبارة عن فناء في الوسط حوله قاعات موضوع بها دكك خشبية ومفروشة بالحصير.

الربع

هو مسكن مشترك تسكنه أكثر من أسرة واحدة، وكان مكونًا من أربعة أو خمسة طوابق، ويدفع له أجر سنوي.



مسكن الأغنياء

يسكن الرجل الغني في دار مكونة من ثلاثة أو أربعة طوابق، ويوجد في منتصف الدار فناء به فسقية لتلطيف حرارة الجو. كما يحتوي البيت على قاعات لإقامة الرجال و(قاعات الحرملك) وهي أماكن مخصصة لإقامة النساء، تجتمع فيها نساء المنزل ويستقبلن الزائرات من الأقارب والصديقات. لا توجد بالحرملك نوافذ تطل على الشارع، ولكن يوجد به مشربيات تطل على فناء المنزل. ويوجد أيضًا بالمنزل قاعات للجلوس وطرقات وسلالم متعددة تربط الأدوار المختلفة. السقف خشبي والأثاث عبارة عن أسرة ودكك خشبية وموائد من النحاس. كان المصريون يهتمون جدًا بالتهوية الصحية للمنازل وزراعة النباتات في وسط الدار وفوق الأسطح لتلطيف درجة الحرارة. باب المنزل عادة يكون خشبيًا كبير الحجم وعليه آيات قرآنية محفورة فوقه. وكانت هناك آبار خاصة يتم حفرها لتزويد البيوت بالمياه، وكانت المنازل تضاء بالقناديل المملوءة بالزيت.



جامع الصالح طلائع

منشآت تجارية

الأسواق

تختلف الأسواق الفاطمية كثيرًا عن الأسواق الحديثة الموجودة اليوم، كان شارع القصبة أعظم أسواق القاهرة، حيث كان يحتوي على (20,000) دكان (محل) لبيع السلع المختلفة. تعلو في وسط السوق أصوات الباعة الجائلين، ينادون على بضائعهم المختلفة، فينادي بائع الترمس (مدد يا إمبابى) ويصيح بائع الليمون (**الله** يهون يا ليمون) وكان الباعة الجائلون يحملون بضائعهم في أقفاص خشبية فوق رءوسهم. أدت كثرة المنتجات الزراعية وكثرة المنتجات المميزة للحرفيين إلى امتلاء الأسواق بالسلع المحلية. ولقد ساهم موقع مصر الجغرافي المتوسط في ازدهار حركة التبادل التجاري بين الشرق والغرب مما أدى إلى امتلاء الأسواق بالسلع الواردة من البلدان الأخرى. لو نزلت إلى السوق الفاطمي فسوف تجد صابونًا ذا رائحة من تونس، وسيوفًا من دمشق، ولؤلؤًا من مسقط، وسجاجيد من أرمينيا، وحصائر من اليمن، وتوابل من الهند، ومنسوجات من دمشق، وأقمشة من تنيس. وكانت حركة البيع والشراء تمتاز بالحيوية والنشاط. كانت كل المحلات مملوكة للخليفة وتؤجر بسعر يتراوح ما بين دينارين إلى عشرة دنانير في الشهر.

كما كان هناك عدد من الأسواق التي تبيع سلعة واحدة مثل:

- سوق المرحلين: يختص بلوازم الجمال.
- سوق الحلاويين: يبيع الحلوى.
- سوق العبيد: يبيع الرجال والنساء.
- سوق الشماعين: يبيع الشمع.
- سوق الدجاجين: يبيع الدجاج والطيور.
- سوق الشرابيشين: يبيع العمامات.

سويقة أمير الجيوش: كانت من أكبر أسواق القاهرة وبها محلات الرسامين والخياطين و(البزازين) أي بائعي الملابس وبائعي الطعام والعطور.



صورة توضح شكل السوق في الدولة الفاطمية

الوكالات

كانت الوكالات بناء مخصصًا لإقامة التجار القادمين من البلاد الأخرى، وكانَ بها مكان مخصص لتخزين البضائع التي جلبوها معهم. من هذه الوكالات (وكالة قوصون) وكانت مخصصة للتجار القادمين من بلاد الشام ومعهم بضائع مثل الزيت والصابون، و(وكالة الأميرية) و(وكالة ابن ميسر).

الخانات

مبنى ضخم مستطيل، مكون من أدوار متعددة وله فناء في الوسط. كانت الخانات تستخدم كمخازن للبضائع والدواب.

عادة مصرية

كان الأغنياء يشترون العصافير المحبوسة ويطلقون سراحها كنوع من البر والصدقة.

القياسر

هي أسواق على هيئة أروقة طويلة ذات أسقف مغطاة ويعلو المحلات مساكن للعامة. ومن هذه القياسر قيسارية (أبي مرة) التي كان يباع فيها الشمع والحرير وقيسارية العطارين التي كان يباع بها الصوف والخيش.

المحتسب

هو المشرف والمراقب على الأسواق، يدور في الأسواق يوميًا وإذا وجد أي نوع من الغش يقوم بعقاب رادع للبائع مثل الضرب بالعصا. وكان المحتسب يقوم أيضًا بضبط الأسعار للمحافظة على استقرار الأسواق، وكان يمشي وراءه رجل يعاونه، يطلق عليه العريف ومعهما ميزان لوزن البضائع المختلفة.



باب الفتوح

كيف كان الناس ينتقلون في الأسواق؟

كان الناس يركبون الحمير المزينة بالسروج الملونة ليتنقلوا بين الأسواق. كانت هناك مواقف لاستئجار هذه الحمير على رءوس الشوارع، وكان عددها يبلغ (50,000) دابة وبالطبع كان التنقل من مكان لآخر يستغرق وقتًا طويلًا.

الزراعة

مصر بلد زراعي؛ لوجود نهر النيل الذي يوفر بالماء، وكان الفلاحون يزرعون الكثير من المحاصيل مثل القمح والعدس والبصل والثوم واللوبيا والفلفل وقصب السكر والرمان والبطيخ والشعير والسفرجل والموز والخضراوات والورود وكانت أسواق القاهرة تمتلئ بهذه المحاصيل.

كيف كانت الفسطاط؟

ظلت الفسطاط العاصمة القديمة التي أنشأها(عمرو بن العاص) تشغل المركز الأول في الصناعة والتجارة، كما كانت متاجرها مليئة بالسلع من الشرق والغرب والمنتجات المحلية. وكانت ميناءً مزدهرًا، يتم فيه تبادل السلع مع كل دول البحر المتوسط ومركزًا مهمًا للصناعات الحرفية.

الأهراء السلطانية

هي مخازن للغلال كانت تقع بالقرب من باب زويلة وتحتوي على (300,000) أردب من الغلة أي القمح. وكانت هذه المخازن تفتح ويباع للناس منها في وقت الأزمات.[1]

الأوزان المختلفة

كانت الأوزان المستخدمة في مصر في العصر الفاطمي مختلفة تمامًا عن الموازين التي نستخدمها اليوم.

أردب القمح	150 كيلو جرامًا
الرطل	400 جرام
الويبة	توازي 16 قدحًا أي سُدس الأردب
الكيلة	توازي 8 أقداح أي نصف الويبة

الحرف اليدوية

إناء من الخزف له بريق معدني



تميز الحرفي المصري بالبراعة وكان الحرفيون يعملون في ورش صغيرة ويتعلمون الصنعة من آبائهم ومعلميهم، ولم يكن هناك بالطبع مدارس لتعليم الفنون المختلفة، بل كانوا يتعلمون من خبرات السابقين. كان هناك مسئول أو نقيب عن كل حرفة يطلق عليه لقب (عريف) كما كان هناك مشرف على كل حرفة يطلق عليه لقب (معلم).

- صانعو الخزف

أبدع صانعو الخزف في صنع أوانٍ وزهريات وأطباق من الخزف اللامع ذي البريق المعدني في غاية الروعة والإبداع، وكان يتم استخدام لونين من البريق في قطعة واحدة. وأوانٍ من الخزف الملون والشفاف عالية النقاء حيث كان يمكن للإنسان أن يرى يده بوضوح في ظهر الإناء الخزفي لشدة جودة صناعته. كما صنعوا أواني لحفظ العطور والبخور، تزينها زخارف نباتية وصور طيور وحيوانات. وأنتجوا قللًا وأواني للشراب وجعلوا لها فتحات، يطلق عليها (شباك القلة) وزينوها بأشكال هندسية مرسوم فوقها صور آدمية وحيوانية ونباتية وهذا الفن يشبه الدانتيلا.

(1) الخطط المقريزية، ج2، ص344.

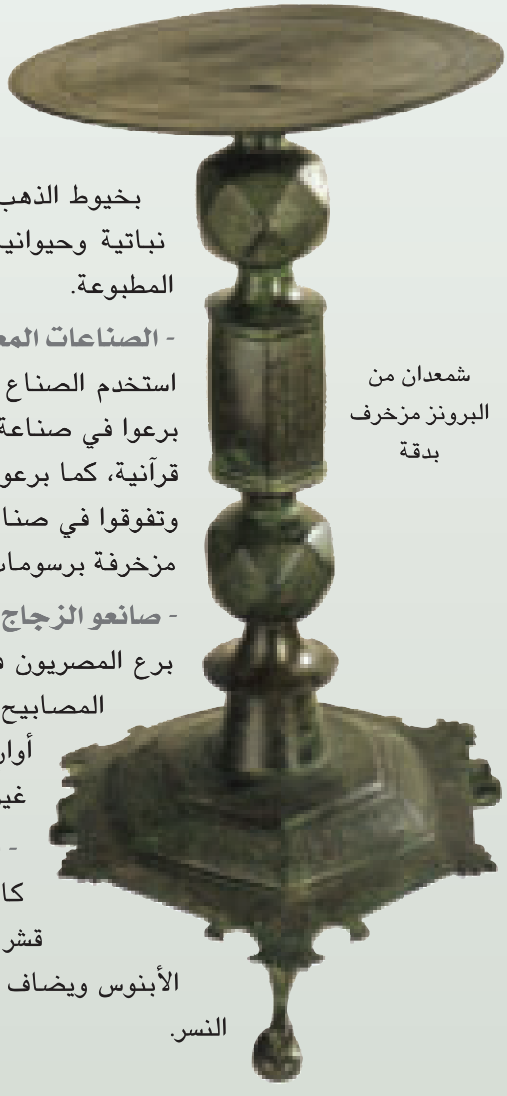


- النحاتون

برع النحاتون في العصر الفاطمي في زخرفة الأسطح الحجرية بنقوش هندسية وحيوانية وآدمية، كما أبدعوا في استخدام الخط الكوفي الملتفة حوله الأشكال النباتية، ويسمى (أرابيسك) فوق حوائط الجوامع وفي المحاريب. كما ابتكر الفاطميون شكلًا زخرفيًّا يسمى المقرنصات، على شكل عقود لتزيين الأسطح وقد انتشر استخدامه في العصور اللاحقة.

- النجارون

صنع النجارون المشربيات وقطع الأثاث المختلفة من الصناديق المطعمة بالعاج والفضة والدكك الخشبية، وأضافوا النجوم السداسية فوق الأسطح الخشبية، كما برع النحاتون في الحفر على الخشب وفي زخرفة العاج، وتركوا لنا تحفًا خشبية محفورة على الأبواب ومحاريب الصلاة مرسومًا عليها زخارف نباتية جميلة.



شمعدان من البرونز مزخرف بدقة

- النساجون

صنع النساجون أقمشة كتانية وحريرية وصوفية عالية الجودة مزخرفة بخيوط الذهب. كان النسيج عادة يزين بشريط مزخرف بأشكال هندسية متكررة ورسوم نباتية وحيوانية وكتابات كوفية. وقد استخدموا قوالب خشبية للحصول على الزخارف المطبوعة.

- الصناعات المعدنية

استخدم الصناع النحاس والبرونز والذهب والفضة والحديد وزخرفوها بدقة وإحكام. وقد برعوا في صناعة الآنية النحاسية مثل الأباريق والأواني وزخرفوها برسومات طيور وآيات قرآنية، كما برعوا في صناعة الأسلحة مثل السيوف والخناجر المرصعة بالأحجار الكريمة. وتفوقوا في صناعة الحلي مثل الأساور والدلايات والأقراط، وصنعوا شمعدانات من البرونز مزخرفة برسومات متقنة.

- صانعو الزجاج

برع المصريون في صناعة الزجاج الملون والزجاج المزخرف المزين بالذهب. وقد أنتجوا المصابيح والأباريق والأواني المختلفة. أجمل ما أنتجه الصناع في العصر الفاطمي أوانٍ زجاجية مصنوعة من البلَّور الصخرى، والبِلَّور عبارة عن مادة طبيعية غير مصنعة وهو أنقى وأمتن أنواع الزجاج.

- العوادون

كانوا يصنعون آلة القانون من خشب الجوز أو من ألواح خشب الصنوبر ويلصق به قشر السمك وتصنع أوتاره من أحشاء الحمل. أما آلة العود فكانت تصنع من خشب الأبنوس ويضاف إليها أيضًا قشر السمك لحمايتها، أما ريشة العود فكانت تؤخذ من ريش طائر النسر.



- **التصوير**

ازدهرت الرسومات في العصر الفاطمي، وقد برع الرسامون في اللوحات المائية على الجص فوق الجدران (الفرسكو) لزخرفة وتزيين مبانيهم.

وفي الصور المرسومة على الخزف ذي البريق المعدني والتي كانت تمثل رسومات آدمية وحيوانية ونباتية. ويظهر في الرسوم الموسيقيون والموسيقيات والراقصات، وقد وصلت إلينا رسومات جدارية من فوق جدران الحمامات العامة. ولأسلوب التصوير الفاطمي سمات مميزة:

– فكان يتم رسم هالة حول الأشخاص

– كما كان يضاف وشاح، أي منديل للشخصيات.

– ولم يكن الرسم دقيقًا، وكان مسطحًا، أي خاليًا من العمق.

– كما اهتم الرسامون بالزخرفة.

- **الحائكون**

كانوا يصنعون الملابس للناس حسب الطلب وكانوا يزنون الأقمشة بالميزان عند التسلم وبعد أسبوع يتسلم المشتري الثوب بعد أن يزن القماش مرة ثانية لضمان عدم الغش.(1)

- **الإسكافيون**

هم صانعو الأحذية، وكانوا يصنعون الأحذية الرخيصة من جلد الحمار والأحذية الغالية من جلد الزراف والقباقيب الخشبية للفقراء.(2)

· **تجار السكسونيا**

هم الذين يطوفون الشوارع ويجمعون الملابس القديمة وقطع الصفيح والأسلاك والجلد.(3)

صناعة السفن

كانت السفن تصنع في دار الصناعة التي أنشاها الخليفة (المعز لدين الله الفاطمي)، وكان يستخدم خشب شجر اللبخ، وهو شجر متوافر في صعيد مصر. أما الحبال وأدوات السفن فتصنع من ألياف نبات الكتان.

العشاري

هي مراكب صغيرة مكونة من طابقين، يركبها الخليفة في النيل للنزهة أو لحضور الحفلات. يوجد بها بيت خشبي على السطح توضع به الأطعمة والوسائد للخليفة ووزرائه، أما الملاحون فيجلسون أسفل السفينة.

الشواني

هي سفن حربية لها مائة وأربعون مجدافًا ويركبها المقاتلون.

الجلاب

هي سفن تصنع بدون استخدام أي مسامير فيها.

المراكب التجارية

كانت تنقل البضائع المختلفة من مصر إلى سائر بلدان العالم.



شباك قلة مصنوع من الفخار ومحفور بدقة

(1) القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة، ص77.

(2) القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة، ص77.

(3) القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة، ص78.

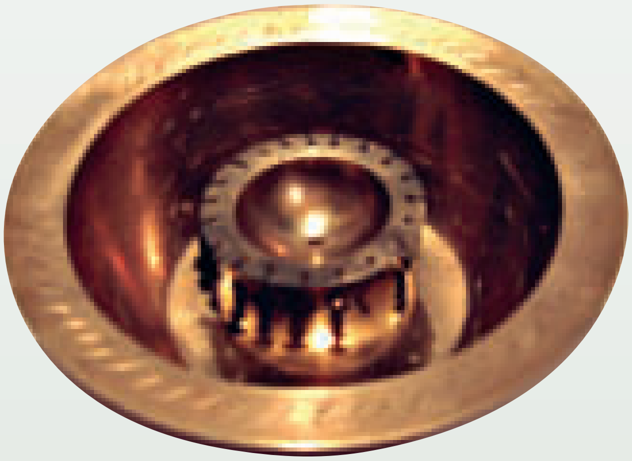
صناعات أخرى

كما أتقن المصريون صناعة الشموع للإضاءة وصناعة والصابون، وبرعوا في استخراج الزيوت من بذور السمسم والزيتون والكتان.

السقا

بنيت مدينة القاهرة بعيدة عن نهر النيل. وكان السقاءون ينقلون مياه الشرب على ظهر الجمال من نهر النيل إلى القاهرة كل يوم. كان عدد الجمال التي تنقل المياه (52,000) جمل وكانوا يضعون المياه في قنوات لتزويد المدينة بالماء الذي كان يخزن في ثلاثة خزانات دائرية. وكان السقا يمشي في الشوارع وهو يحمل الماء على ظهره في إناء من الفخار، وكان الأغنياء يدفعون ثمن أكواب الماء التي يشربونها أما الفقراء فكانوا يشربون الماء مجانًا أو مقابل قطعة من الخبز. كما كان السقاءون يحملون قرب الماء على ظهورهم ويصعدون بها إلى المنازل.

طاسة الخضة

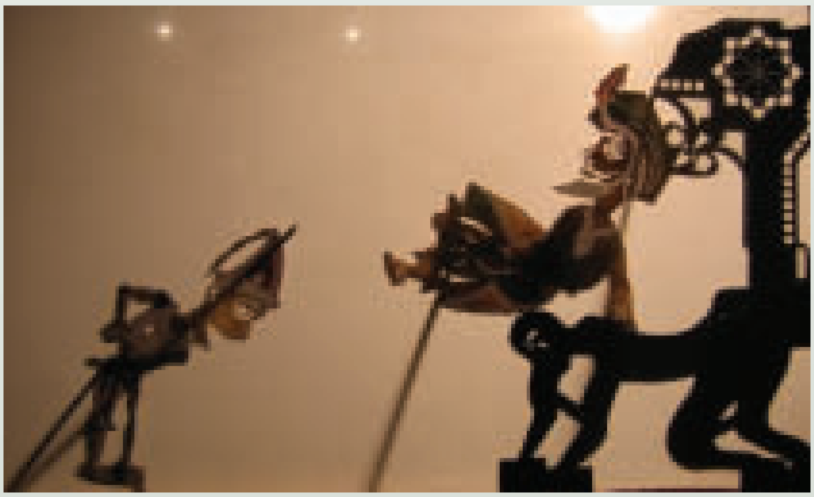


كان الناس يستعملون طاسة نحاسية تسمى(طاسة الخضة) مدونًا عليها آيات قرآنية وعبارات سحرية ورسوم طيور يتدلى منها أربعون قطعة معدنية. كان الناس يعتقدون في قدرة هذه الطاسة على شفاء الأمراض المستعصية إذا شرب الإنسان الماء أو اللبن الموضوع بداخلها.

وسائل الترفيه

خيال الظل

هو تمثيلية يقوم بها عرائس، يحركها أشخاص وراء ضوء خلفي، فتتحرك الخيالات فوق ستارة بيضاء. وكانت الموضوعات جادة أو هزلية، تصاحبها أحيانًا أنغام الموسيقى. كان خيال الظل من الأشياء المحببة للنفس عند المصريين، وكان يجوب أنحاء المدينة ويشاهده الناس وهم واقفون أو جالسون على الأرض.



صورة لعرض من عروض خيال الظل

النخبتارية

كانت العروض تقام في الشوارع ويقوم بها رجلان أحدهما يتشقلب في الهواء فوق حبل وهو مرتدٍ زي فارس، في يده رمح والآخر متعلق برجليه.



لعبة الشطرنج

هي لعبة فارسية، مارسها العامة والخاصة، وهي تصنع من الخشب والأبنوس.

ألعاب الحواة

كان الحاوي ومعه اثنان من الصبية الصغار يعاونانه في القيام بالخدع المختلفة، وكان يقدم عرضًا للثعابين المدربة. كان العرض يتم في الشوارع ويسعد به الناس.

السيرك

كان السيرك يطوف بالمدن والقرى، ويقدم عروضًا مشوقة للقردة والفيلة والدببة.

عادات وتقاليد الأسرة المصرية

كانت الأسرة في العصر الفاطمي مترابطة تحترم العادات والتقاليد، وكان الأب يمثل السلطة المطلقة حيث يتخذ كل القرارات وحده مثل الزواج والعمل.



حلق من الذهب

السبوع

كانت الأسرة تحتفل بسبوع المولود الجديد بضرب الدفوف والمزامير ورش جوانب المنزل بالملح مع دق الهَاوُن وإطلاق البخور. كما كانت توضع جرة مملوءة بالشمع عند رأس المولود.

الزواج

كان زواج البنات المبكر هو الشائع ويفضل أولاد العم وأولاد الخال لزيادة الروابط العائلية. كان العروس يؤسس المنزل أما عروسه فتشتري الأثاث المكون من دكك خشبية وأدوات للطعام وأوانٍ وأباريق وملابس جديدة.



سوار من الذهب وعليه نقوش بسيطة بسلاسل الذهب

ليلة الحناء

يسبق الفرح ليلة الحناء التي تضع فيها العروس وكل نساء العائلة الحناء في أيديهن وأرجلهن تعبيرًا عن الفرحة.

يوم الفرح



تسير العروس في زفة داخل هودج يحمله جمل، وفوقها مظلة حريرية. تعزف الفرق الموسيقية ويمشي وراء العروس المحمل، وهو جهاز العروس. ثم تجهز موائد طعام ضخمة وتأتى الراقصات والمغنيات في الحريم ويحتفل الرجال بعروسها في قاعات منفصلة عن النساء.

عادات مصرية

كان من عادة الناس في الشدائد الخروج إلى الصحراء والدعاء، خاصة إذا نقص منسوب نهر النيل، ويصلون وكانت تُسمى «صلاة الاستسقاء» توسلاً إلى الله لسقوط المطر.

إطلاق البخور

كان المصريون في العصر الفاطمي يطلقون البخور في المناسبات المختلفة في البيوت وفي المساجد والأسواق، وكانوا يعتقدون أن البخور يجلب الخير ويمنع عنهم الحسد.

الأضرحة

اهتم الفاطميون ببناء عدد كبير من الأضرحة للأولياء الصالحين وأهل البيت مثل ضريح (السيدة رقية) وضريح (زين العابدين). واعتاد المصريون زيارة أضرحة الأولياء الصالحين.
وهذه عادة مصرية قديمة استمرت بعد الإسلام واتخذت شكلاً إسلاميًا ولا علاقة للفاطميين بها.

ارتياد الحمامات العامة

كانت الحمامات العامة تتكون من عدد من الصالات، بها عدد كبير من الأحواض المليئة بالمياه الساخنة. بعد النزول في المياه الساخنة يأخذ المستحم حمام بخار ثم يبدأ المكيساتي في تدليك وتنعيم جسده بحكه بقطعة من القماش الخشن. ارتاد الناس الحمامات العامة للتطهر والاستشفاء مثل (حمام الخراطين). كان الحمام مكانًا للقاءات الاجتماعية أو للاستعداد للمناسبات المختلفة مثل الزواج والسبوع. وكان يفتح في أوقات مخصصة للرجال وأخرى مخصصة للنساء.

الحياة الثقافية

الآلات الموسيقية

عزف المصريون على الكثير من الآلات الموسيقية مثل:
العود: وهو مصنوع من الخشب والأبنوس وله سبعة أوتار.
الناي: وهو من آلات النفخ.
الربابة: عبارة عن خشبة طويلة ولها وتران يصنعان من شعر الحصان.
الطبول: كانت تصنع من الفخار وتغطى بقشر السمك.
الدف: وهو مدور وله حلقات نحاسية دائرية.
القانون: هو آله وترية مصنوعة من الخشب والزان ويضع العازف القانون على ركبتيه ويعزف على الأوتار بريشتين في نفس الوقت كما كانت تعقد مجالس الطرب والغناء في المناسبات والأعياد.



جزء لبرواز مصنوع من العاج لفرقة موسيقية

العلم والتعليم

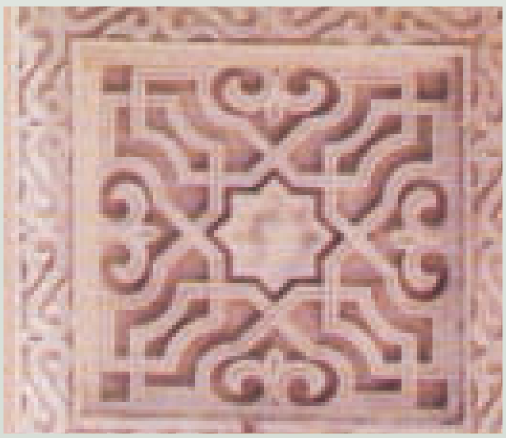
وفد كثير من العلماء من كل البلاد إلى مصر وساهمت الحياة الاقتصادية المزدهرة والثراء في نشر التعليم وازدهار الثقافة. كانت القاهرة مصدر إشعاع للعلم وكانت الكتب كثيرة وفي متناول أيدي الناس. وقد ازدهرت الآداب والعلوم والرياضيات والفلسفة والطب والفلك واهتم الخلفاء الفاطميون بنشر التعليم.

الكتاتيب

تعلم الأولاد الصغار القراءة والكتابة وحفظ القرآن والحساب في الكتاب، وكانت الدراسة تبدأ من شروق الشمس حتى العصر.

المدارس

كانت المدارس ملحقة بالمساجد وكان يوجد بها مساكن للطلبة وتلقى فيها المحاضرات في مختلف العلوم من صلاة الفجر حتى صلاة العصر.
وكانت المدارس تلقب باسم منشئها، فمثلًا (المدرسة الحافظية) نسبة للخليفة (الحافظ لدين الله) وكان يتم وهب وقف خيري للإنفاق على هذه المدارس.



البيمارستان

هو مستشفى مجاني ملحق بالقصر يعالج فيه الأغنياء والفقراء ولم يكن مسموحًا للمرضى بالخروج من البيمارستان إلا بعد أن يأكلوا فروجًا ورغيفًا من الخبز فتكون هذه علامة الشفاء.



الطب

اعتنى الفاطميون عناية فائقة بالطب وقلدوا الأطباء مناصب عالية. كان يجب على الطبيب الناجح أن يتقن عددًا من اللغات الأجنبية بالإضافة إلى الإلمام بعلم الفلسفة. كان الطب يدرس في المارستان وكان للأطباء تخصصات مختلفة مثل العيون والجراحة والأمراض الباطنية. كان الأطباء يعالجون المرضى بالأدوية والمعاجين المختلفة. كان من أشهر الأطباء (الحسن بن على بن رضوان) و(أعين بن أعين.)

طب العامة

اتخذ بعض العامة مهنة الطب كعمل بدون دراسة سابقة بالاعتماد على الخبرات المكتسبه. كان(المجبرون) يجلسون في الأسواق يعالجون الجروح والكسور، وكان (الكحالون) يجلسون في الطرقات يضعون الكحل والأدوية في أعين الناس وكان المزين يقوم بعملية الختان. وكثيرًا ما كان يصاب المرضى بأذى نتيجة لعدم خبرة هؤلاء الناس بالطب.

الأدب

الشعر

اهتم الفاطميون بالشعر اهتمامًا كبيرًا

وتقرب الشعراء من الخلفاء الفاطميين مثل (محمد بن هانئ الأندلسي) الذي كان مقربًا من الخليفة (المعز لدين الله الفاطمى). كان الشعر وسيلة فعاله لنشر أفكار الفاطميين في المجتمع وكانت تلقى القصائد في الحفلات والمواسم. كان يغلب على الشعر مدح الخلفاء الفاطميين لكسب ودهم.



طبق من الخزف ذي البريق المعدني
لطائر له رأس آدمي

مجالس المناظرة في قصر الخليفة

كانت تعقد مجالس المناظرة في قصر الخليفة ويحضر العلماء والأدباء وكبار رجال الدولة ويتحاورون في مختلف المسائل العلمية والأدبية وينشد الشعراء قصائد مدح في الخليفة تعدد صفاته النبيلة وكمال أخلاقة وأمجاد آبائه وأجداده.



مجالس الطرب في قصر الخليفة

كانت مجالس الخلفاء لا تخلو من سماع الأغاني والطرب، وكانت الجواري تغني من وراء ستائر مسدلة. وقد صور الفاطميون مجالس الطرب على قطع الخزف وعلى التحف الخشبية المختلفة.



حلق من الخزف ذي البريق المعدني

فتاة البادية

وصلت لنا قصة من الأدب الإسلامي عن الحياة داخل القصور الفاطمية يمتزج فيها الواقع مع الخيال عن الخليفة (الآمر بأحكام الله). تذكر الرواية أن الخليفة سمع بوجود فتاة فائقة الجمال تعيش في البادية (الصحراء) فتخفَّي في لباس أعرابي وذهب ليراها فأحبها على الفور وبعث لأهلها فتزوجها. وفي بادئ الأمر انبهرت (عالية) فتاة البادية بالحياة الناعمة المترفة داخل القصر ولكن بعد فترة اشتاقت لحياة الصحراء وأحست أن أسوار القصر جعلتها في سجن وعزلة، فأقام لها الخليفة بستانًا رائع الجمال على النيل وسماه الهودج لتتنزه فيه ولكنها ظلت دائمًا تتذكر وتشتاق لحياتها السعيدة في البادية.(1)

نموذج من شعر مدح الخلفاء

كتب هذه الأبيات الشاعر (حسن الجعفري) يهنئ الخليفة (العزيز بالله) بتولي الخلافة بعد موت أبيه (المعز لدين الله الفاطمى).

عمت خلافته مصرًا فصار بها
كأنه الشمس فيها حلت الحملا
إن المعز الذي لا خلق يشبهه
إلا العزيز ابنه إن قال أو فعلا

مجالس قصص العامة

كان القصاصون يطوفون على الجوامع والطرقات ومجالس العامة يحكون القصص الدينية والقصص التي تحكي شجاعة ومروءة أبطالها مثل السيرة الهلالية. وكان الناس مغرمين بالقصص الهزلية مثل نوادر جحا وحكايات ألف ليلة وليلة.

نموذج من شعر العامة

النيل من أهم الموضوعات التي برع في وصفها الشعراء في العصر الفاطمى

ونهر من الأنهار ألقت يد الصبا ... عليه شقيقًا ناره تتضرم
كأن ابيضاض الماء تحت احمراره ... صفيحة سيف قد جرى فوقها الدم

التصوف

انتشر التصوف بين عامة الناس وقت الخلافة الفاطمية، الصوفيون هم مجموعة من العباد الزاهدين في الدنيا المنقطعين للعبادة ولا يرغبون في التمتع بمباهج الحياة. وقد أطلق عليهم «الصوفيون» لأنهم يرتدون ملابس مصنوعة من الصوف الخشن كنوع من الزهد. وقد استخدم الصوفيون بعض الآلات الموسيقية مثل الدف والمزمار في أناشيدهم الدينية. وقد تصور الصوفيون بالخطأ أن الدين هو التفرغ لعبادة الله فقط، مع أن الله عز وجل أمرنا بالعمل لننفع أنفسنا ونفيد الناس والمجتمع فالعمل عبادة. قال تعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

أمثلة شعبية

الأمثال الشعبية كانت وسيلة الناس للتعبير عما يدور بداخلهم من مشاعر مختلفة وهي تحتوي على كثير من السخرية من مشاكلهم اليومية وتحتوي على كثير من التوجيهات لاتباع السلوك المستقيم. ولايزال بعض من هذه الأمثلة يجري على ألسنة المصريين حتى اليوم.

– (ركب الخليفة وانفض المولد) وقد اشتهر موكب الخليفة الفاطمي في



إناء من الخزف

(1) مصر الإسلامية، ص262–63.

المولد النبوي والأعياد بالهدايا والعطايا الكثيرة التي يأخذها الناس، لذلك أصبحت الموالد من الأحداث المهمة بالنسبة لهم.
– (لا تعيط على الرزق يهرب) هي نصيحة للتجار بأن يتعاملوا بأدب مع الزبائن.
– (زي المحتسب الغشيم ناقص ارمي زائد ارمي) وهو يعبر عن كره الناس من ظلم المحتسبين الذين كانوا يراقبون الأسواق.
– (فريخ البط عوام) يعبر عن الإعجاب بالشباب الماهر الذي يتعلم بالاقتضاء من معلمه.

الخلفاء الفاطميون في القاهرة

وقد استمرت الخلافة الفاطمية في مصر (208) سنوات وهؤلاء هم كل الخلفاء الفاطميين في مصر، وكان يسبق اسم كل خليفة لقب اشتهر به مثل: الحاكم بأمر الله، والمعز لدين الله.



طبق من الخزف ذي البريق المعدني يمثل وحشًا خرافيًّا

1 – (المعز لدين الله أبو تميم معد) (953م) هو فاتح مصر وهو ملك عادل محبوب، أسست مدينة القاهرة وبنيت الأسوار وجامع الأزهر في عهده.

2 – (العزيز بالله أبو منصور نزار) (975م) هو خليفة عادل ينصف المظلوم. بدأ بناء جامع (الحاكم بأمر الله) في عصره.

3 – (الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور) (996م)هو خليفة يتصف بغرابة الأطوار واتخاذ القرارات المتناقضة وتم بناء جامع (الحاكم بأمر الله) في عصره.

4 – (الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي) (1021م) في أيامه اضطربت أحوال البلاد بسبب الجفاف نتيجة لانخفاض منسوب النيل.

5 – (المستنصر بالله أبو تميم معد) (1036م) وقع في أيامه غلاء فاحش لمدة سبع سنوات، وبسبب انخفاض مستوى النيل حدث جفاف شديد وعانى الناس من الجوع الشديد حتى بيع رغيف الخبز بخمسة دنانير.

6 – (المستعلي بالله أبو القاسم أحمد) (1094م) حكم سبع سنوات وحدث كسوف كامل للشمس في أيام حكمه.

7 – (الآمر بأحكام الله أبو عبد الله محمد) (1101 م) كان حاكمًا ضعيفًا وبنى جامع الأقمر.

8 – (الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد) (1130م) كان رجلًا حليمًا، ولكن اضطربت في أيامه الأحوال وكثر الفساد، وقد بنى مشهدًا للسيدة رقية بنت الإمام (علي بن أبي طالب) واستولى الصليبيون على مصر في حكمه.



9 – (الظافر بأمر الله أبو المنصور إسماعيل) (1149م) تولى وعمره سبعة عشر عامًا، وكان وسيمًا يحب الطرب ولكن قتل في النهاية.

10 – (الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى) (1154م) أطاعه الجنود الذين كان يبلغ عددهم (50,000) جندى.

11 – (العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله) (1160-1170م) وهو آخر خليفة فاطمي.

قصص حول الخليفة الحاكم بأمر الله

هناك قصص كثيرة تروي عن تصرفات هذا الخليفة الغريبة المتناقضة، مثل أنه منع الناس من بيع العسل الأسود ومن أكل الملوخية والقرع، ونهى عن بيع السمك الذي لا قشر له، ونهى عن بيع البلح وزرع الترمس. وقيل عنه إنه أمر الناس أن يغلقوا الأسواق بالنهار ويفتحوها بالليل، وإنه منع النساء من الخروج من البيوت ومنع صنع الأحذية لهن حتى لا يخرجن نهائيًا. ولكن قيل عنه أيضًا إن باب قصر الخلافة كان مفتوحًا للعامة في عهده، وكان الحاكم يقابل الناس بنفسه ويخرج إلى الأسواق راكبًا حمارًا بدون موكب ولا حراس حوله بل يرافقه غلام واحد معه سيف وورق يكتب عليه شكاوى الناس حتى يحل المظالم بنفسه، وقد أمر بتقليل النفقات الكثيرة التي كانت تنفق على قصر الخلافة، كما أصدر الحاكم قرارات بإلغاء الكثير من المكوس التي كانت ترهق الناس. كان (الحاكم بأمر الله) شديد الاهتمام بالفلك ويخرج ليلًا إلى الصحراء لمراقبة النجوم، وقد خرج في ليلة من الليالي ولم يعد وقيل إنه قتل ولم يجدوا أبدًا جثمانه. وقد حكم مصر خمسة وعشرين عامًا.[1]



مئذنة جامع الحاكم بأمر الله

برجوان الصقلبى

هو (أبو الفتوح برجوان) وكان مدبرًا لمملكة (الحاكم بأمر الله) ويرعى مصالحه. وكان يتمتع بحب الناس واحترامهم وإليه تنسب (حارة برجوان) بالقاهرة.

نهاية الدولة الفاطمية

على الرغم من الازدهار الاقتصادي خلال العصر الفاطمي فإنه حدثت عدة أزمات، كان السبب الرئيسي فيها انخفاض أو ارتفاع مستوى النيل؛ حدثت الأزمة الأولى في أيام (الحاكم بأمرالله) عندما ازداد منسوب النيل فحدث فيضان مما أدى إلى نقص في المحاصيل الزراعية فغلت الأسعار و انتشرت الأوبئة. وفي عهد (الظاهر لإعزاز دين الله) انخفض منسوب النيل وساد الجفاف فحدثت أزمة كبرى واشتد الغلاء.

الشدة العظمى

في عصر الخليفة المستنصر عام (1070م) انخفض منسوب النيل لمدة سبع سنوات متتالية مما أدى إلى حدوث

أزمة اقتصادية شديدة عرفت بالشدة المستنصرية العظمى. وقد غلت خلالها الأسعار غلاء شديدًا، واختفت السلع الغذائية، وأكل الناس لحم الدواب والخيول والقطط والكلاب، وبلغ سعر أردب القمح (25) دينارًا مما يوازي ضعف الثمن العادي (25) مرة. استطاع الوزير (بدر الجمالي) الذي كان واليًا على عكا التغلب على الأزمة، وقد تخطاها وقام بإصلاح أحوال البلاد بعد فسادها.[1]

سقوط الدولة الفاطمية

هناك عدة عوامل أدت إلى سقوط الدولة الفاطمية، منها ضعف الخلفاء والمجاعات والأوبئة والخطر الصليبي. وكانت نهايتها في حكم الخليفة الفاطمى (العاضد بالله) حيث حدث صراع شديد على منصب الوزارة بين وزير يدعى (شاور) وأحد قواد الجيش ويدعى (ضرغام). فاستعان شاور بـ(نور الدين محمود زنكي) حاكم دمشق وطلب منه مساعدته فأرسل له القائد (أسد الدين شيركوه) ومعه ابن أخيه (صلاح الدين الأيوبي)، وبعد قتل ضرغام استعان شاور بالصليبيين فدخل القائد (عموري الأول) ملك بيت المقدس إلى مصر. هزم (صلاح الدين الأيوبى) الصليبيين هزيمة منكرة وأخرجهم من مصر وتولى منصب الوزارة. ومع مرور الوقت ازداد نفوذ (صلاح الدين الأيوبي). وبوفاة (الخليفة العاضد) آخر خليفة فاطمي انتهت الدولة الفاطمية في مصر بعد أن استمرت (208) سنوات. كما انتهت في المشرق وفي المغرب وتولى (صلاح الدين) حكم مصر وأسس الدولة الأيوبية (1169م).



باب النصر

(1) إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص52-53.



جامع الجيوشي

مساجد الفاطميين

الجوامع في العصر الفاطمي لها سمات مشتركة في عمارتها فهي عادة لها فناء مستطيل تحيط به الأروقة من كل الجوانب. المحراب يشير إلى اتجاه القبلة ويقع بجواره منبر عبارة عن كرسي مرتفع يجلس عليه الإمام وهو يلقي خطبة الجمعة. أمام القبلة توجد دكة ارتفاعها (2,5) متر وهي عبارة عن مكان مرتفع مصنوع من الخشب أو الحجارة ليقف فوقه المُبَلِّغ وهو رجل يكرر كلام الإمام للمصلين. في وسط الفناء توجد الميضأة وهي حوض مملوء بالمياه من أجل الوضوء. كانت الجوامع في العصر الفاطمي في منتهى النظافة وعادة يكون لها مئذنة أو أكثر يرفع من فوقها الأذان.

جامع الجيوشي

يقع هذا المسجد على حافة جبل المقطم خلف القلعة والذي أمر ببنائه الوزير أمير الجيوش بدر الجمالي سنة (478هـ – 1085م) وأهمية هذا الجامع في أنه أول جامع ومقبرة في نفس الوقت، كما أنه أول جامع يبنى من الحجارة الجيرية، وبني على مستطيل مساحته (18 × 15) مترًا والمدخل في منتصف الواجهة الشمالية الغربية أسفل المئذنة، وهو عبارة عن باب معقود مدبب يؤدي إلى ردهة مسقوفة بقبو نصف أسطواني وعلى الجانب الأيسر حجرة مربعة تحتوي على صهريج ماء وعلى الجانب الأيمن حجرة أخرى مربعة مفتوحة إلى السماء بها السلم المؤدي إلى السطح وعلى الضلع الجنوبي الشرقي للصحن توجد واجهة إيوان للقبلة به ثلاثة عقود يتكئ العقد الأوسط منها على زوجين من الأعمدة الرخامية لها تيجان على هيئة ورق اللوتس وقواعد من ورق اللوتس المقلوب، ويزين القبة من أسفلها شريط من الكتابة الكوفية المزخرفة تجري حول رأس المربع المقامة عليه القبة وترتكز على مثمن في كل ضلع من أضلاعه شباك أما المئذنة فقائمة في منتصف الضلع الشمالي ويبلغ طولها 20 مترًا تقريبًا وتتكون من قاعدة مربعة تنتهي بمقرنص يعلوه مربع ثم مثمن يحمل القبة.

الجامع الأقمر

هو جامع صغير يقع على الجانب الشرقي من القاهرة وأحد مساجد القاهرة الفاطمية ويوجد حاليًّا في شارع النحاسين، بناه الوزير المأمون بن البطائحي بأمر من الخليفة الآمر بأحكام الله أبي علي منصور سنة (519هـ – 1125م) وهو أول جامع في القاهرة حوت واجهته تصميمًا هندسيًّا خاصًّا.

وقد سمي الأقمر للون حجارته البيضاء التي تشبه القمر، وقد صمم بحيث تتفق واجهته مع تخطيط الشارع الذي يطل عليه بدلاً من موازاته لصحن الجامع وهو مكون من صحن صغير مساحته عشرة أمتار مربعة تقريبًا، يحيط به رواق واحد من ثلاثة جوانب أهمها الذي يتجه ناحية قبلة الصلاة.

أجمل ما في الجامع واجهته التي تضم زخارف من النباتات والكتابات الكوفية وهو مصنوع من الحجارة وتعلو الأروقة الأربعة قباب صغيرة، ويقع المدخل الرئيسي للمسجد وسط الواجهة الشمالية المقسمة إلى ثلاثة أجزاء حيث يبرز الجزء الأوسط عن الحائط ولهذا فإن، المسجد ينحرف ناحية الواجهة، وللمدخل عقد معشق تعلوه مروحة تشكل عقدًا فارسيًّا تتوسطه دائرة. وتتشكل أبعاد المسجد كالآتي: العرض: 30 مترًا، الطول 70 مترًا.



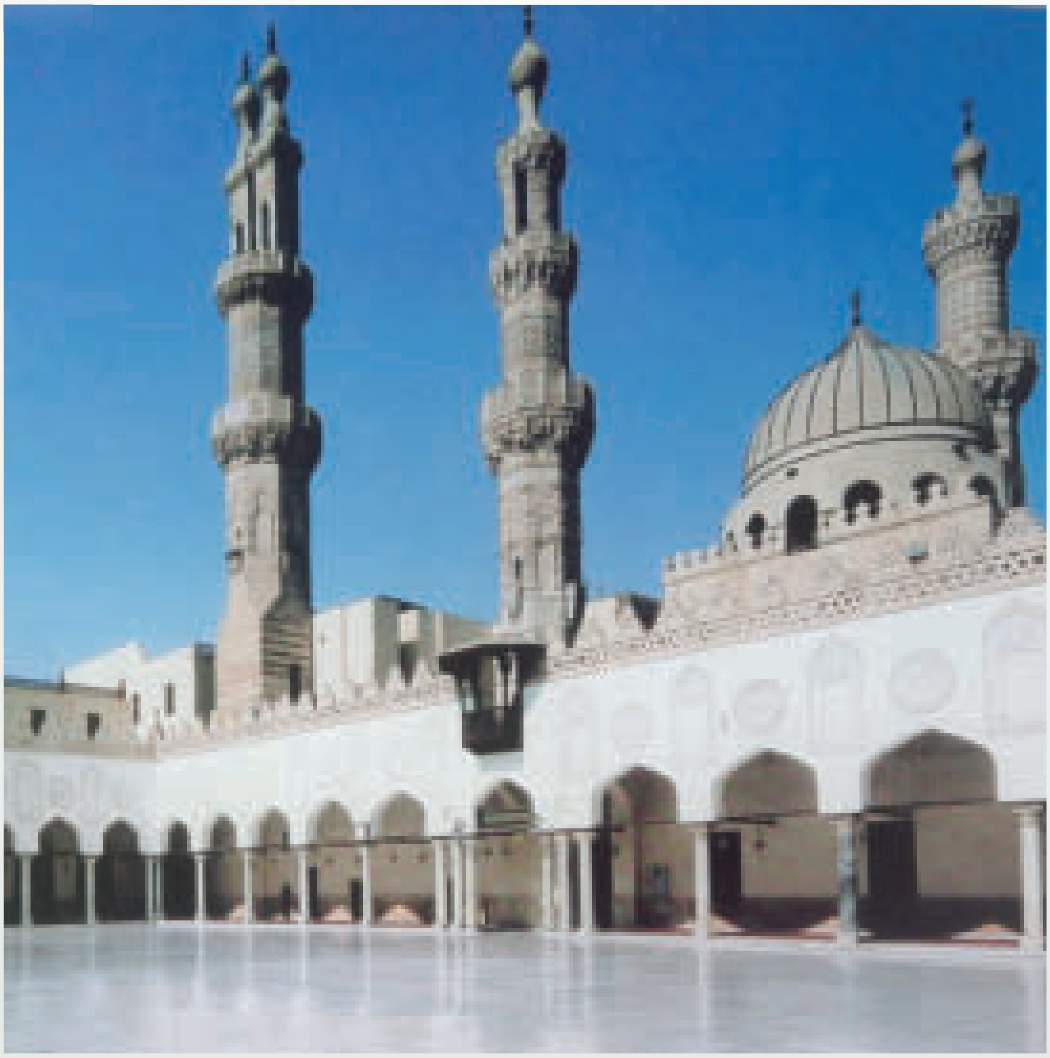
الجامع الأقمر

جامع الصالح طلائع



أنشأه الملك (الصالح طلائع بن رزيك) وزير الخليفة الفاطمي (الفائز بنصر الله) ثم وزير (الخليفة العاضد) وهو آخر أثر أنشئ في عهد الدولة الفاطمية. يوجد هذا الجامع خارج الأسوار الجنوبية للقاهرة على بعد (20) مترًا من باب زويلة وهو جامع صغير معلق توجد تحته دكاكين ولا تزال تستخدم كمحلات حتى اليوم. وهذا الجامع مثال مهم لامتداد العمارة الفاطمية خارج أسوار القاهرة، وهو يتكون من مستطيل يتوسطه صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة ومرتفع عن الأرض بنحو أربعة أمتار وبه أشكال في الواجهة مكونة من خمسة عقود مثلثة الشكل وتكون شكل سفينة تتقدم المسجد، وهي فكرة سورية الأصل مقتبسة من المسجد الأموي بدمشق، وأقيمت الحوائط الخارجية للجامع من الحجارة الجيرية وعلق الخشب في السقف على مسافات أفقية محمولة على عقود. وقد جمع المسجد بين النشاط الديني والتجاري وهو ما يجسد نظرية الدين في عدم الفصل بين الدين والدنيا.





جامع الحاكم بأمر الله

أمر بإنشاء هذا الجامع الخليفة (العزيز بالله) (900م) وأتم بناءه ابنه الخليفة (الحاكم بأمر الله) بعد موت أبيه.وقد دخل هذا الجامع داخل حدود القاهرة عندما أعاد(بدر الجمالي) بناء البوابات.

وصف الجامع

الجامع مكون من صحن يحيط به خمسة أروقة مغطاة بسقف من الخشب كما كان بالجامع تسعة أبواب ومئذنتان يختلف تصميمهما وشكلهما الخارجي إحداهما عن الأخرى.

وبعد أحد عشر عامًا من بنائهما بنى الحاكم غلافًا خارجيًّا يغطي النصف السفلي من المئذنتين حتى يخفي اختلاف شكلهما.

جدران الجامع سميكة مشيدة بالحجارة، وقد شهد العديد من الإصلاحات والإضافات على مر العصور، ويبلغ طوله 120.5متر وعرضه 113 مترًا فمساحته أقل من مساحة جامع عمرو، وله أول مدخل بارز بني في جامع بالقاهرة يغطيه قبو أسطواني عرضه 3.48 متر وطوله 5.50 متر ومعقود بعقد أفقي من الحجر وهذا العقد والحائط الموجود فيه حديثا البناء ويوجد في المدخل عن اليمين وعن اليسار بقايا نقوش بديعة ارتفاعها 1.60 متر ويؤدي المدخل إلى صحن الجامع الذي يحيط به الدواوين (الجنوبي الشرقي، والشمالي الشرقي، والجنوبي الغربي) ويحيط بالسقف من أسفل كتابة كوفية بديعة وجميع الأعمدة والأكتاف من الطوب الداكن الذي يتشابه مع الطوب الموجود في جامع ابن طولون.

الأضرحة



المحراب المتنقل لضريح السيدة رقية

مشهد السيدة رقية (ابنة علي بن أبي طالب)

أنشأه الخليفة (الحافظ لدين الله) (527هـ – 1132م) وهو ثامن الخلفاء الفاطميين، بعد رؤيته، للسيدة رقية بنت الإمام (علي بن أبي طالب) في المنام. ولم يبق منه سوى إيوانه الشرقي الذي يتكون تخطيطه من رواق أمامي محمولة على زوجين من الأعمدة الرخامية وله باب يؤدي إلى مربع أمام المحراب، وقد ظهرت القبة المضلعة في مصر لأول مرة أعلى ضريح السيدة عاتكة الذي أنشئ في القرن السادس الهجري.

يتكون الضريح من ثلاث حجرات وتعلو حجرة الدفن قبة، وأجمل ما في هذا الضريح هو المحراب الخشبي المتنقل الذي كان يوضع في الفناء الملحق بالمشهد لأداء الصلاة.

المحراب طوله (1.11) متر، في ارتفاع (2.1) متر وبه زخارف نباتية وهندسية غاية في الروعة والجمال.

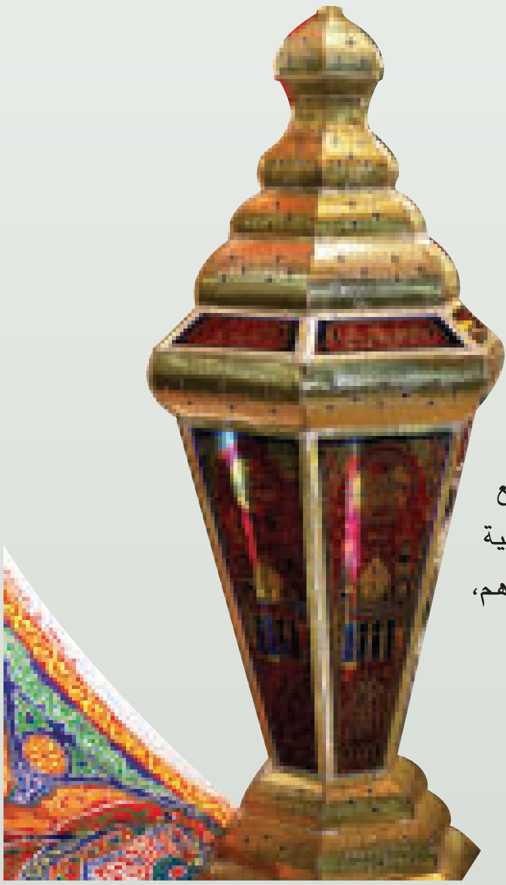
المشهد الحسيني

أنشئ المشهد الحسيني سنة (549هـ – 1154م) ونقل به رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ولم يبق من المشهد سوى الباب المعروف بالباب الأخضر الذي يقع شرق الواجهة الأمامية للمسجد وهي مبنية بالحجر الأحمر على الطراز القوطي وبه العديد من الأعمدة، أما المئذنة فهي تقع في الركن الغربي القبلي ويستدل من لوحة مثبتة أسفلها أنها بنيت سنة 634هـ (أي في أواخر العصر الأيوبي) ولم يبعد منها حتى الآن سوى قاعدتها المربعة التي تحلى بأشكال بديعة وحليت هذه القبة من الداخل بالنقوش التي يتخللها التذهيب وكسر محرابها والجزء الأسفل من جدار من الرخام الملون، ولما تولى الخديو إسماعيل سنة 1269هـ أمر بتجديد المسجد وتوسيعه فبدأ العمل سنة (1230هـ – 1864م) وانتهى 1878م وفي سنة 1939 أمر الملك فاروق بإصلاح أرضية القبة وفرشها بالرخام. ويقع الجامع قرب الجامع الأزهر وخان الخليلي وأنشأه الصالح طلائع.

القاهرة اليوم



أصبحت مدينة القاهرة اليوم مدينة حديثة يسكن بها حوالي عشرين مليون نسمة، وقد امتدت لتضم كل العواصم القديمة؛ الفسطاط التي بناها (عمرو بن العاص) والعسكر التي بنيت أثناء الدولة العباسية والقطائع التي بناها (أحمد بن طولون). فقدت أبواب القاهرة المتبقية وظيفتها القديمة فلم تعد تمثل مداخل القاهرة ولكن أصبحت ذكرى لتاريخنا العريق. أما شارع القصبة فيوجد مكانه اليوم شارعان، في القسم الشمالي شارع (المعز لدين الله الفاطمي) وهو يحتوي على العديد من المنشآت التي تعود إلى العصر الفاطمي والأيوبي والمملوكي والعثماني، أما في القسم الجنوبي فيوجد شارع الغورية وهو سوق تجاري لبيع الملابس. هذان الشارعان هما مزيج فريد يجمع بين تاريخ القاهرة القديم والحديث. ويوجد بالقاهرة اليوم أبراج عالية وشوارع واسعة و«كباري» وميادين ومصانع وفنادق حديثة ومجمعات تجارية وأسواق ضخمة. مازالت القاهرة قلب العالم الإسلامي ومركز إشعاع علمي وثقافي وأصبح جامع الأزهر أهم جامعة إسلامية في العالم.



الموروثات الفاطمية

مازال المصريون اليوم يقومون بكثير من الأشياء التي تعود أصولها إلى أيام الدولة الفاطمية. فمازالوا يحتفلون بشهر رمضان المعظم بإضاءة الفوانيس وبصناعة الكنافة والقطائف، وفي المولد النبوي الشريف تصنع الحلوى والعرائس والفرسان. ومازال المصريون يعشقون أكل الملوخية ويرددون بعضًا من الأمثلة الشعبية التي كانت تجري على ألسنة أجدادهم، ومازالوا يطلقون البخور في الأسواق لجلب الرزق.

المراجع

1. محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري تحقيق د.محمد زينهم محمد عزب: نزهة الأمم في العجائب والحكم، مكتبة مدبولي (1995).

2. أولج فولكف: القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة، ترجمة أحمد صليحة (1969)، الهيئة المصرية العامة للكتاب (1986).

3. تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، الهيئة العامة لقصور الثقافة (1999).

4. تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الآداب (1996).

5. عبد اللطيف البغدادي: إشراف: د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب (1998).

6. شحاتة عيسى إبراهيم: القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (2001).

7. محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري: بدائع الزهور في وقائع الدهور، مكتبة مدبولي، القاهرة (2005).

8. محمد عبد الله عنان: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (1998).

9. د. نجوى كيرة: حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي، مكتبة زهراء الشرق. القاهرة (2004).

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع